التماسك النصي الدلالي في القصة القرآنية
قصة موسى والفتى والعبد الصالح أنموذجاً

الدكتور مُحَمَّد راضي الزيني
مدرس علم اللغة والنحو والصرف
كلية الآداب - جامعة بورسعيد

<u>ملخص الدراسة</u>

هذه دراسة لغوية في القرآن الكريم ، تقوم على ركيزة المعنى ، كما تقوم على قراءة النص القرآني وفق نظرة تدمج بين الجانب اللفظي الذي قصر النحاة أنفسهم عليه ، والجانب المعنوي الذي يهتم به البلاغيون . ومن ثم فالدراسة تحاول الكشف عن معايير التماسك النصي الدلالي في القرآن الكريم ، وتحديداً في القصة القرآنية ، متخذة من قصة " موسى والفتى والعبد الصالح " حقلاً تطبيقياً . وسيحاول الباحث أن يلقي الضوء على ثلاثة مصطلحات رئيسة ، هي : (التماسك – النص – الدلالة) ثم يقف على مصطلح التماسك النصي الدلالي ، ثم يعرج على الشق الثاني من العنوان وهو الخاص بالقصة القرآنية وبيان مفهومها وخصائصها .

This study is a linguistic one in the Munificent Quran which focuses on the meaning. It is based on the reading of the Quranic text according to a view that merges the verbal aspect grammarians limited themselves to and the abstract aspect rhetoricians takes care of. The study tries to discover the criteria of semantic textual cohesion in the Munificent Quran, especially in the Quranic story making the story of "Moses , Boy and The Good Man" a practical field. The researcher will try to shed light on three main terminologies; Cohesion, Text and Semantics) then the researcher will discuss the Semantic Textual Cohesion term. After that, he will shift to the second aspect of the title which is the Quranic story and explanation of its concepts and features.

المقدمة

إن التصدي للنص القرآني وفق معطيات علم لغة النص أمر أمسى في غاية الأهمية ؛ حيث تجاوز النظر إلى النحو من مجرد كونه غاية كبرى في حد ذاته ،وهي عصمة الألسنة من اللحن ، إلى النظر إليه – أعني النحو – باعتباره وسيلة لتحقيق غايات عديدة ؛ منها – وليس كلها – عصمة الألسنة من اللحن ، والانطلاق إلى غايات أخرى ،كالوقوف على العلاقات الكامنة وراء تلك البنى التركيبية للجمل و العبارات ، واستكشاف آليات الارتباط بين مكونات تلك الجمل والتراكيب ؛ ومن ثم الوقوف على أبعاد التماسك داخل النصوص ، وفق رباط دلالي .

وهذه الدراسة في جوهرها دراسة لغوية في القرآن الكريم ؛ إذ إنها شأنها شأن الدراسات اللغوية تقوم على ركيزة المعنى ، كما أنها تقوم على قراءة النص القرآني وفق نظرة من شأنها الدمج بين الشطرين المتباعدين اللذين ظل الدارسون يتدارسون النصوص عامة ، والنص القرآني خاصة وفقاً لهما ، أعني بهما ، تناول تلك النصوص وفقاً لآلية الدمج بين (الجانب اللفظي) الذي قصر النحاة عليه أنفسهم ، و(الجانب المعنوي) الذي تلقفه البلاغيون .

وتأسيساً على ما تقدم فقد نهضت هذه الدراسة ؛ محاولة الكشف عن معايير التماسك النصي الدلالي في القرآن الكريم ، وتحديداً في القصة القرآنية ، متخذة من قصة " موسى و الفتى و العبد الصالح " حقلاً تطبيقياً ، متخذة من معطيات علم لغة النص أدوات نحو تحليل أجزاء القصة ، بغية كشف أبعاد النصية فيها .وستكون هذه الدراسة في تمهيد يتضمن التأصيل المصطلحي لمفردات البحث ، وسيحاول الباحث أن يلقي الضوء على ثلاثة مصطلحات رئيسة هي :
" التماسك ، النص ، الدلالة " ؛ ثم يقف الباحث على مصطلح (التماسك النصي الدلالي) محاولاً كشف النقاب عن وسم (التماسك النصي) بأنه (دلالي) . ثم يعرج الباحث إلى الوقوف على الشق الثاني من عنوان الدراسة ؛ حيث ستكون الوقفة هذه المرة مع (القصة القرآنية) ، وبيان مفهومها ، وخصائصها ،مع الإشارة إلى أسباب اختيار قصة موسى والفتى و العبد الصالح

مادة للدراسة التطبيقية دون غيرها من القصص القرآنية . ثم لجأ الباحث إلى تحديد إجراءات التحليل النصي ؛ حيث تم تطبيق آلية التفكيك ؛ و تقسيم القصة إلى أربع وحدات نصية متتالية .

جاء التمهيد متلواً بسبعة مباحث هي : مبحث حول التحليل النصي لأحداث القصة في ضوء تقسيم الوحدات النصية الرئيسة ، مع وقفة على آليات التماسك بين هذه الوحدات النصية الأربع ،تلاه مبحث الربط بالأداة ، ثم مبحث الإحالة ، فمبحث التكرار ، وتلاه مبحث الحذف ، ثم مبحثا الإعلامية ، فالقصدية.

وقد تمركز البحث التطبيقي حول استكشاف أثر هذه المعايير في التماسك النصي الدلالي . ثم ذيل الباحث الدراسة بخاتمة تبرز أهم النتائج التي نتجت عن الدرس التطبيقي ، ثم ثبت بالمراجع .

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة تحاول الرد على ادعاءات من رموا النص القرآني بأنه لا يقبل التماسك ، ولا يعرف الترابط ، وشبهوه بالمدونات المنفصلة ، بل وصفوا الانتقالات القصصية – من قصة إلى أخرى – داخل السورة الواحدة بأنها انتقالات مفاجئة ؛ ومن ثم كان تلمس الباحث لآليات الترابط في القصة القرآنية ، وفق أسس علمية و منهجية ، هي أسس علم اللغة النصي و معاييره .

التمهيد
(التأصيل المصطلحي)

بادئ ذي بدء يحاول الباحث في هذا التمهيد أن يقف على عتبة هذه الدراسة ، والتي يقصد بها عنوانه ؛ فعناوين الأعمال – حتى و إن كانت دراسات علمية – هي أول ما يطالعه القارئ منها ؛ لذا وجب على الباحث ما يأتي :

أولاً : أن يلقي الضوء على ما يقصده من العنوان الرئيس لهذه الدراسة الموسومة بـ (التماسك النصي الدلالي في القصة القرآنية) ، فهذا العنوان قد جاءت مفرداته على النحو الآتي : التماسك ، النصي ، الدلالي ، القصة القرآنية . ولاشك أن كل مفردة من هذه المفردات تمثل – في ذاتها – مصطلحاً رصيناً تناوله اللغويون و النقاد والبلاغيون بصفة عامة ، كما تناوله علماء لغة النص بصفة خاصة ، ولكن حينما تتجاور هذه المفردات سوياً في عنوان واحد فالأمر يحتاج إلى وقفة تأصيلية يهدف من ورائها الباحث تحديد ماهية مقصده من العنوان عامة من ناحية ، وفي الوقت ذاته يضع بين يدي القارئ تصوره حول المغزى العميق من هذا المصطلح من ناحية أخرى الأمر الذي من شأنه أن يكشف عن الغاية من هذه الدراسة .

ثانياً: أن يلمح إلماحة سريعة إلى الجزء الثاني من العنوان – العنوان الفرعي – (قصة موسى والفتى و العبد الصالح أنموذجاً) ؛ فمن المؤكد أن يشمل هذا التمهيد الوقوف على مصطلح القصة القرآنية ، وما يستدعيه هذا الوقوف من الكشف عن خصوصية القصة القرآنية ، وبيان مدي مناسبتها للدرس النصي وفقاً لمعطيات علم لغة النص . كما سيذكر الباحث أسباب اختياره لهذه القصة القرآنية دون غيرها من القصص القرآني الغزير بأساليبه البديعة التي مازلت تحمل في طياتها اللمحات اللغوية، والظواهر اللغوية الممتعة ، والتي ستظل منهلاً ينهل منه طالبو العلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

تجدر الإشارة إلى أن اقتضاب التناول في العرض للجانب المصطلحي للمفردات الثلاثة منفردة – أعني بها (التماسك ، والنص ، والدلالة) – أمر جاء متعمداً من الباحث ؛ حيث

سيبسط القول في التأصيل الاصطلاحي للمصطلح الرئيس لمادة البحث (التماسك النصي الدلالي) بشيء من التفصيل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى حتى لا يحدث التداخل والتكرار في العرض ، خاصة أن جل الباحثين قد عرضوا لهذه المسألة بطريقة مغايرة ؛ حيث كان الاكتفاء لديهم بمصطلح التماسك النصي ، دون نعت الدلالي ؛ ونظراً لعمق الجانب الدلالي وأهميته في مثل هذه الدراسات ؛ كان من الصعب تغافل نعت (الدلالي) في البسط والتأصيل .

أولاً : مفردات العنوان الرئيس في اللغة والاصطلاح :

(التماسك) في اللغة :

دار مفهوم التماسك لغوياً في فلك معانٍ عدة منها : ترابط أجزاء الشيء حسياً أو معنوياً ، والاعتدال ، وحبس الشيء أو تحسبه ...، ويأتي (التماسك) في اللغة مقابلاً للتفكك[١] .

(التماسك) اصطلاحاً :

عرفه ديفيد كارتر بأنه (العلاقات أو الأدوات الشكلية و الدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية ، وبين النص و البيئة المحيطة من ناحية أخرى)[٢] .

. والجدير بالذكر أن هاليداي ورقية حسن قد أكدا مبدأً مهما يحكم مفهوم (التماسك) ؛ إذ أشارا إلى أن (التماسك لا يركز على ماذا يعني النص بقدر ما يركز على كيفية تركيب النص باعتباره صرحاً دلالياً)[٣] .

وقد بدت ملامح اضطراب شكلي بين علماء لغة النص حول ترجمة مصطلح (التماسك) الذي قصد به بعضهم Cohesion، بينما قصد البعض الآخر منهم Coherence. وأعني

١. انظر: الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، الجوهري:مختار الصحاح ،ابن فارس : مقاييس اللغة ، مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، بطرس البستاني : محيط المحيط ، مادة : م س ك .

٢. انظر : صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ –٢٠٠٠م ج٩٦/١

٣. السابق ، ص ٩٥

بقولي : إن الاضطراب شكلي ، أن المصطلحين المذكورين – وإن اختلفا من ناحية الشكل – إلا أن شغلهما الشاغل هو البحث حول آليات الربط و الارتباط بين أجزاء النص مهما تباعدت المسافات ، بل يعنى التماسك أيضاً بالارتباط بين النصوص و بعضها .

وقد أفاض علماء لغة النص واستفاضوا في الوقوف على طبيعة الاختلاف الجوهري – لا الخلاف – بين المصطلحين ؛ حيث كانت المحصلة أن المصطلح الأول (Cohesion) يرتبط بالروابط الشكلية ، في حين عني المصطلح الثاني (Coherence) بالروابط الدلالية [١] .

(النص) في اللغة :

رفعك الشيء ....، وكل ما أظهر فقد نص ، ويقال : نصت الظبية جيدها : رفعته ....، ونصصت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض ....، ونص كل شيء منتهاه ....، والنص هو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف "مو"[٢]

(النص) اصطلاحاً :

بداية تجدر الإشارة إلى أن تعريفات النص قد تعددت و تنوعت وفقاً لاتجاهات علماء لغة النص ، هذا من ناحية ، وفي ضوء طبيعة عمل المحلل النصي من ناحية أخرى ؛ بل إن الدكتور سعيد حسن بحيري قد أشار إلى تلك الحقيقة بقوله : (ثمة اختلاف شديد بين هذه الاتجاهات في تعريف النص إلى حد التناقض أحياناً ، والإبهام أحياناً أخرى، فلا يوجد تعريف معترف به من قبل عدد مقبول من الباحثين من اتجاهات علم لغة النص بشكل مطلق)[٣] .

---

١. انظر الاختلاف حول هذه المسألة : سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري ،دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول ، ج/١، مج/١٠،عدد ١،٢،يوليو ١٩٩١م ، ص ١٥٤وما بعدها . وانظر : صبحي الفقي : علم اللغة النصي ،مرجع سابق، ص٩٤-٩٥

٢. ابن منظور : معجم لسان العرب ، مادة ن ص ص ،وانظر المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ،مادة ن ص ص ، ج٩٢٦/٢ .

٣. سعيد حسن بحيري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ،ط١ ،١٩٩٧م،ص ١٠١ .

وبالطبع لسنا بصدد إثبات ما أقره الآخرون ، وإنما نهدف إلى رصد أهم ما ذكروه تجاه ما نعنى بدرسه الآن ، وهو مفهوم (النص) لديهم ؛ فمن أكثر تعريفات النص صيرورة ما ذكره دي بوجراند بأنه : (تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال ، ويضاف إلى ذلك ضرورة صدوره – أي النص – عن مشارك واحد ضمن حدود زمنية معينة ، وليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها ، فقد يتكون النص من جمل وكلمات مفردة ، أو أية مجموعات لغوية تحقق أهداف الاتصال)[١] .

ووفقاً لهذا التصور لمفهوم النص أمكن النظر إلى النص باعتباره (كلية مترابطة الأجزاء ، فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد ؛بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً ، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل)[٢] .

وللباحث تصور حول مفهوم النص بوصفه شكلاً من أشكال الإبداع اللغوي ؛ حيث يمكن اعتبار النص : حالة حوارية – مكتوبة أو منطوقة – بين طرفين ؛ أحدهما مرسل حاضر بين سطور نصه ، و الآخر مستقبل حاضر أيضاً "وحضور المستقبل حضور في وعي المرسل في الدرجة الأولى ،وهو ما يستدعي حضوره داخل النص أيضاً "،هذه الحالة الحوارية بين الطرفين تقوم على وجود شبكة قوية من العلاقات الدلالية على مستويين ؛ أحدهما رأسي و الآخر أفقي ، وتستدعي هذه الحالة الحوارية نشاطاً من المستقبل في استكشاف تلك العلاقات ؛ ومن ثم تكون إبداعية المستقبل والمرسل معاً ، والتي يتبعها – حتماً – إنتاجية النص .

ومما لا شك فيه أنه على الرغم من تعدد تعريفات النص وتنوعها ، إلا أن هذا التعدد يثبت أمراً مهما ألا وهو مقبولية هذا المصطلح ، وأعني بها قبول المصطلح في وسط الدراسات اللغوية والنقدية على حد سواء ، كما يعكس هذا التعدد رواج المصطلح ، وهذا ما عبر عنه الدكتور أحمد يوسف بقوله : (المصطلح الجديد كائن حي . قد يأتي إلى الوجود في ظل اهتمام بالغ به ،

---

١. إلهام أبو غزالة ،علي خليل حمد : مدخل إلى علم لغة النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط٢،١٩٩٩م ، ص٩ .
٢. محمد العبد : اللغة والإبداع الأدبي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط١،١٩٨٩م،ص ٣٦ .

وحفاوة شديدة تعكس الحاجة النفسية و العقلية إليه ...؛ وذلك لقربه و ألفته و مشابهته لما هو سائد ومستقر إلى درجة الامتزاج به أحياناً)[١] .

(الدلالة) في اللغة :

إبانة الشيء بأمارة تتعلمها ....، ودله على الشيء سدده إليه ....، ودللت فلاناً على الطريق : أرشدته[٢] .

(الدلالة) في الاصطلاح :

تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم الدلالة بوصفها علماً له قواعده و أصوله و فروعه ، ومن هذه التعريفات ما نص على أن الدلالة (هو ذاك العلم الذي يدرس اللغة من زاوية دلالة مكوناتها ، أي هو علم دراسة المعنى اللغوي . أي هو العلم الذي يدرس المعنى سواء على مستوى الكلمة المفردة أو التركيب ، وتنتهي هذه الدراسة بوضع النظريات الدلالية)[٣] .

فالمعنى إذن هو ركيزة الدرس الدلالي ، والمعنى المقصود هنا المعنى بدلالته العميقة التي تختفي وراء القصد المباشر للكلمات و الجمل و التراكيب ؛ ويؤيد ذلك ما ذكره الدكتور أحمد مختار عمر بقوله عن علم الدلالة : (إنه العلم الذي يدرس المعنى ، كما إنه ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى ، وهو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى)[٤] .

إذن فالمعنى هو محور الدرس الدلالي على كافة المستويات ؛ والمقصود بهذه المستويات يفسره قول الدكتور حسام البهنساوي (علم الدلالة يقوم بدراسة المعنى ، سواء على مستوى :

---

٣. أحمد يوسف علي يوسف : دوائر النقد الأدبي ،مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ص١ .

١. ابن فارس : مقاييس اللغة ، مادة د ل ل

٢. حلمي خليل : مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ،بيروت ، لبنان ، د. ت، ص ٦٩.

٣. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ،مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ،الكويت ،ط١ ، ١٤٠٢هـ ،١٩٨٢م، ص ١١ .

الكلمة المفردة أو على مستوى الجملة و التركيب ، أو على مستوى المورفيم ، أو على مستوى الصوت)[١] .

<u>مصطلح (التماسك النصي الدلالي)</u> :

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن بين يدي هذه الدراسة هو : ما المغزى من وسم (التماسك النصي) بأنه (دلالي) ؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقرأ ما ذكره الدكتور صلاح فضل ، حيث يقول : (التماسك اللازم للنص ذو طبيعة دلالية ...، وهذا التماسك – بالإضافة إلى ذلك – يتميز بخاصية خطية ، أي إنه يتصل بالعلاقات بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل المتتالية النصية ...، فالتماسك يتحدد على مستوى الدلالات عندما تكون العلاقات قائمة بين المفاهيم والذوات والمتشابهات و المفارقات في المجال التصوري ، كما يتحدد على مستوى المدلولات وما تشير إليه النصوص من وقائع وحالات . وتكون المتتالية متماسكة دلالياً عندما تقبل كل جملة فيها التفسير والتأويل في خط داخلي ، يعتبر امتداداً بالنسبة لتفسير غيرها من العبارات الماثلة في المتتالية ، أو من الجمل المحددة المتضمنة فيها)[٢] .

والملحوظ في كلام الدكتور صلاح فضل مدى محورية الجانب الدلالي في التنقيب عن آليات التماسك النصي داخل النصوص ؛ بل إنه قد جعل تحديد التماسك مقروناً بقيام العلاقات بين المفاهيم والذوات والمتشابهات و المفارقات ، ليس هذا فحسب ، بل إنه قد اشترط لوقوع التماسك قبول الجمل للتفسير و التأويل على امتداد النص .

فالتماسك النصي الدلالي إذن يعنى بآليات الترابط والتلاحم و الاتساق و التناغم بين مستويات التحليل اللغوي المعهودة ، ولا يدرس أحد هذه المستويات بمعزل عن الآخر ، بل إنه

---

٤. حسام البهنساوي : علم الدلالة و النظريات الدلالية الحديثة ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ،ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص ٤٥ .

١. صلاح فضل :بلاغة الخطاب وعلم النص ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،سلسلة عالم المعرفة ، ١٦٤، أغسطس١٩٩٢، ص٢٥٤ .

يتجاوز حدود الربط – بمفهومه المادي القائم على وجود الأدوات الرابطة – إلى الكشف عن العلاقات الكامنة بين مكونات النصوص على امتداداتها في عالمها النصي .

ويؤكد ذلك ما ذكره اللغويون ؛ فالدكتور علي أبو المكارم يقول : (إن الاتساق اللغوي لا يمكن أن يعزل مستوى من مستويات النشاط اللغوي عن غيره من مستويات هذا النشاط . ويستحيل أن يكون الأداء اللغوي صحيحاً مع فقدان الصحة في أي مستوى من مستوياته الصوتية و الصرفية و النحوية و المعجمية والدلالية)[١] .

إذن فعملية الفصل بين المستويات اللغوية داخل التحليل النصي الدلالي – القائم على كشف أبعاد التلاحم و الترابط بين هذه المستويات – أمر غير معهود ، بل غير مقبول ؛ لذا فقد تجسدت أمام علماء لغة النص أهمية الترابط والتلاحم ؛ حيث أكد الدكتور أحمد عفيفي (فائدة الترابط و التلاحم بدءاً بالربط بين المستويات اللغوية المختلفة في النص الواحد ، فكان هذا الإصرار من نحاة النص على رفض الفصل بين المستويات اللغوية ، فظهر أن من أهم ملامح نحو النص دراسة الروابط ، مع التأكيد على المزج بين المستويات اللغوية المختلفة ، وكل هذا يؤدي إلى الاتساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلية إلى النص دون فصل بين أجزائه)[٢] .

وقد انتقد دي بوجراند فكرة عدم التفات الباحثين إلى (الارتباط الملحوظ)، ذلك الارتباط الذي من شأنه أن يجعل الروابط اللفظية نافعة على حد تعبيره حيث يقول : (لقد استعملت فكرة السبك cohesion لدى بعض الباحثين لوسائل مثل الضميرية ، والإبدال ، والحذف ، وفي الغالب لا يعطي كبير انتباه للارتباط الملحوظ " غير الملفوظ " للمعلومات في النص ، وكذلك لمعرفة العالم التي تصبح بها هذه الوسائل ممكنة و نافعة)[٣] .

١. علي أبو المكارم :الظواهر اللغوية في التراث النحوي " الظواهر التركيبية "،القاهرة الحديثة للطباعة،١٩٦٨م،٣٢٥.
٢. أحمد عفيفي :نحو النص،اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبو زهراء الشرق ، القاهرة ،ط١ ، ٢٠٠١م، ص٩٥ .
٣. روبرت دي بوجراند:النص والخطاب و الإجراء ، ترجمة تمام حسان ،عالم الكتب القاهرة ، ط١ ،١٩٩٨م ،ص ٢٩٩ .

والملحوظ في ضوء ذلك مدى الاتكاء على الجانب المعنوي في الكشف عن التماسك النصي الدلالي ، وتجاوز مرحلة الاكتفاء بدراسة الروابط اللفظية ، فالآن يجب على المحلل النصي أن يلتفت إلى الجانبين معاً ؛ أعني العلاقات اللفظية جنباً إلى جنب مع العلاقات المعنوية الكامنة خلف المفردات والتراكيب ، وهذا ما أكده براون بقوله : (الربط بالأدوات لا يكفي للتماسك النصي ، و أن البحث عن العلاقات المعنوية الضمنية ينبغي أن يكون هو الأصل)[١] .

إذن فالتماسك النصي الدلالي قائم على (وجود علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص أو فقراته ، لفظية أو معنوية ، وكلاهما يؤدي دوراً تفسيرياً ؛ لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص)[٢] .

وتأسيساً على ما تقدم فإن أقرب تناول لمصطلح التماسك النصي الدلالي – وفق الغاية التي يرمي إليها الباحث من هذه الدراسة – ما حدده الدكتور سعيد حسن بحيري بأنه (ظاهرة تأويلية دينامية من الفهم المعرفي تدخل فيها أنواع عديدة من المعارف الذاتية ، وهو ليس مجرد خاصية تجريدية للأقوال ينبغي أن تعالجها في علم الدلالة أو نظرية الخطاب أو نحو النص ، وهو ليس مجرد نوع من الظواهر الموضوعية للقول فحسب ، بل هو تماسك وظيفي لأسباب إستراتيجية القول الدلالية و التداولية)[٣] .

ثانياً : بين يدي القصة القرآنية (قصة موسى والفتى ، والعبد الصالح نموذجاً) :

القصة القرآنية :

القص في اللغة : تتبع الشيء و اقتفاؤه ، قال ابن فارس : (القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء ، من ذلك قولهم : اقتصصت الأثر إذا تتبعته ....، ومن الباب : القصة

١. ج.ب. براون . ج . يول : تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي الزليطي ،منير التريكي ، جامعة الملك سعود، الرياض ، ١٩٩٧م ، ص٢٢٩ .
٢. أحمد عفيفي : نحو النص ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .
٣. سعيد حسن بحيري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مرجع سابق،ص٣٠٩ .

والقصص ، كل ذلك يتتبع فيذكر)[١] . ويذكر ابن منظور في لسانه : (القص فعل القاص إذا قص القصص)[٢] . ومن الملاحظ أن المعنى اللغوي للقص ومادته لا يخرج عن دلالة تتبع الأثر أو الخبر واقتفائه ،وفقاً لتسلسل وقائعه و أحداثه .

(القصة) في الاصطلاح :

من أشهر تعريفات القصة : (سرد لأحداث لا يشترط فيها إتقان الحبكة ، ولكنه ينسب إلى راوٍ ، وأهميتها تنحصر في حكاية الأحداث، وإثارة اهتمام القارئ أو المستمع؛ للكشف عن خبايا النفس ، والبراعة في رسم الشخصيات)[٣] .

ومن تعريفاتها أيضاً: (أحدوثة شاقة ، مروية أو مكتوبة ،يقصد بها الإمتاع أو الإفادة)[٤] .

والجدير بالذكر أن هناك من زعم أن وجود القصة ربما كان متزامناً مع مولد اللغة ، بل مع استعمال الإنسان للكلمة ؛ فالقصة هي (فن أدبي وقالب من قوالب التعبير عريق ،ولد مع اللغة ليشكل الصورة الخبرية التي ولدت مع الإنسان بأول استعمالاته للكلمة ،للتعبير عن مدى رؤيته للواقع وتفسيره له ، وموقفه منه)[٥] . وأياً كان الزعم صحيحاً أم لا ، إلا أنه يثبت بشكل أو بآخر عراقة القصة .

ويبقى السؤالان المترابطان قائمين :

أما السؤال الأول فهو : هل يمكن أن تكون القصة القرآنية قصة بالمعنى المعروف في المحيط الأدبي ؟

والسؤال الثاني : ما المزية التي تميز القصة القرآنية عن القصة بمفهومها الأدبي المطلق ؟

---

٤. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مادة ق ص ص .

١. ابن منظور: لسان العرب ،مادة ق ص ص.

٢. مجدي وهبه ،كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،مكتبة لبنان،بيروت،ط٢،١٩٨٤،ص ٢٨٩.

٣. جبور عبد النور : المعجم الأدبي ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط١،١٩٧٩م ،ص ٢١٢ .

٤. أحمد موسى سالم :قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية و المسرح ،دار الجيل بيروت،١٩٩٧م، ص٤٩ .

والجدير بالذكر أن الدكتور محمد محمود حجازي قد أجاب عن السؤال الأول بقوله : (القصة القرآنية عمادها الحقائق المطلقة الثابتة ، فهل يمكن أن تكون قصة بالمعنى المعروف في المحيط الأدبي ؟ وهل يمكن أن تتمسك صورها ، وتتلاحم أشكالها مع التزام الحقيقة والواقع و الصدق في القول و الإخلاص في النقل ؟ وهل يمكن أن تثير الكوامن ، وأن تستولي على الشعور و الوجدان وتقود المخاطب إلى ما تريد من أغراض و أهداف ؟ والواقع أن القصة في القرآن بنيت بناءً محكماً على الحقيقة الخالصة من زخرف القول و باطله ، وأسست على الحق والواقع بدون خيال أوهم ، ثم هي مع ذلك قصة ؛ فقد سماها القرآن قصة " إن هذا لهو القصص الحق " ...)[1] .

كما أجاب سيد قطب عن السؤال الثاني حين قال : (القصة القرآنية ، و إن كانت قصة أدبية ، ليست كبقية القصص ، فهي ليست عملاً فنياً محضاً ترمي إلى أداء فني طليق ، بل هي مع ذلك وسيلة من وسائل الدعوة الكثيرة إلى أغراضه الدينية ، قائمة على أساس الواقع ، ولا يطرأ عليها الخيال)[2] .

ويؤكد هذا الفارق أيضاً ما ذكره جار الله سليمان الخطيب حول القصة القرآنية من أنها (تروي أنباءً و أحداثاً واقعية ، وهي حق نزلت من عند الحق ، وتميزت عن غيرها بقوة الإثارة والتشويق و امتلاك الشعور ، وجذب الوجدان ، مع قيامها على الحقائق المطلقة والبراهين القاطعة ، والحجج الدامغة)[3] .

ومن أكبر الخصائص التي تميز القصة القرآنية مصدرها (فالقصة القرآنية تتسم بالواقعية ، مصدرها هو الوحي ، ومنهلها الكون والتاريخ ، وموضوعها الإنسان المستخلف في الأرض ، وهو

---

١. محمد محمود حجازي : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، مصر، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م ص ٢٩٠ .

٢. انظر :سيد قطب :التصوير الفني في القرآن ،،ص١١٦ . دار الشروق بيروت و القاهرة ، ١٤٠٣هـ ،١٩٨٣م ، ط٨ ، وانظر أيضاً:عبد المتعال الصعيدي :النظم الفني في القرآن ،مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، د.ت، ص٣٨.

٣. جار الله سليمان الخطيب : قصص القرآن ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ،١٣٩٣هـ ، ص٨ .

قطب الرحى ، والمتلقي الذي توجه إليه القصة تنويراً لعقله و قلبه ، و تهذيباً لمسلكه ، وسمواً به في الروح والنفس)[١] .

وأخيراً يمكن القول (إنه من الممكن أن تعد جميع قصص القرآن أمثالاً قصصية ؛ لأنها لا تكاد تختلف عن القصص التي عدها القرآن أمثالاً ، ونص على مثليتها ، وقد قصد منها العظة و العبرة)[٢] .

لماذا قصة موسى و الفتى و العبد الصالح ؟

السؤال السابق هو أول تساؤل ربما يساور القارئ عند مطالعته عنوان هذه الدراسة ، ومرجع هذا السؤال أن القرآن الكريم يحفل بالقصص المتنوعة ، فلماذا وقع اختيار الباحث على هذه القصة القرآنية دون غيرها ؟

وتكمن أسباب اختيار الباحث لقصة موسى والفتى والعبد الصالح في الأسباب الآتية :

أولاً : أن محور هذه القصة القرآنية هو قضية قديمة حديثة في آن واحد، بل قضية أبدية ؛ إنها قضية العلم و التعليم ، تلك القضية التي يلزم لها في كل زمان ومكان ثلاثة أركان رئيسة لا غنى عن أي منها هي : طالب العلم ، والمعلم ، والمنهج . والذي لا شك فيه أن هذه الأركان الثلاثة مجتمعة هي ذاتها عناصر نظرية التواصل ، تلك النظرية التي تهدف دائماً إلى الكشف عن أبعاد العملية الاتصالية الهادفة القائمة على أبعاد التفاعل و المفاعلة بين هذه الأركان الثلاثة ،وفقاً لمعطيات علم لغة النص ،بل تعد هذه الأركان هي ذاتها صلب البحث النصي وعماده .

فطالب العلم : هو المتلقي .

والمعلم : هو المرسل .

والمنهج : هو النص ، أو الرسالة .

---

١. فضل حسن عباس :قصص القرآن الكريم ، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ، ص ٤٥-٤٧بتصرف.

٢. محمد جابر الفياض : الأمثال في القرآن الكريم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١٩٩٨م،ص ٢٥٧ .

فأركان قصتنا هي (المرسل / المعلم) : هو الخضر / العبد الصالح ، (المستقبل / المتعلم) : أحدهما داخلي " موسى عليه السلام " ، خارجي " المتلقي " – أعني به قارئ أحداث القصة القرآنية . أما الركن الثالث : (المنهج / الرسالة) : هو النص موضع الدراسة " أحداث القصة القرآنية " .

ووفقاً لهذا التصور فقد كانت قصة موسى و الفتى و العبد الصالح نموذجاً صادقاً ، بل دقيقاً – وفق المعطيات الأساسية لعلم لغة النص ونظرية الاتصال – بوصفه حقلاً تطبيقياً خصباً لاستكشاف أبعاد التماسك النصي الدلالي داخل بنية النص القرآني ،والقصة القرآنية على وجه التحديد .

وتتمثل مهام المحلل النصي هنا في استكشاف أبعاد التماسك النصي داخل هذه البنية القصصية بأطرافها الثلاثة ، وبيان كيفية عناية المرسل بوجود المستقبل (فوجود المتلقي ليس خارجياً فحسب بل هو وجود في وعي المبدع / المرسل / بالدرجة الأولى ،وهذه الحقيقة تأتي من معاينة الواقع التنفيذي معاينة صحيحة ، ومن خلالها تأخذ العملية التنظيرية خطوط حركتها الجدلية بين الطرفين " المبدع و النتلقي ")[1] وإن شئنا قلنا بين المعلم و المتعلم ؛ فهل ينكر أحد أن المعلم قد يكون مبدعاً و قد لا يكون؟ ، بل هل ينكر أحد أن المتعلم قد يكون فعالاً وقد لا يكون ؟

ثانياً : أن هذه القصة القرآنية تعد بصورة واضحة وصريحة نموذجاً رصيناً لحالة حوارية بين طرفين ، تلك الحالة التي التفتت إليها النظرية النصية ، بل مثلت عمقاً من أعماقها ؛ حيث (أكدت هذه دور المتلقي ، وأعلت من شأنه ...، فالعملية اللغوية كلها تعد حواراً متصلاً بين

١. محمد عبد المطلب : قضايا الحداثة عند عبد القاهرالجرجاني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٥م ص٢٢٨ .

المبدع والنص والمتلقي ؛ فالأخير دائماً في حالة طرح لأسئلة عديدة على النص ، والنص بدوره يجيب عن هذه الأسئلة)[١] .

وفي هذه القصة موضع الدراسة لدينا نوعان من المتلقي : أحدهما خارجي و هو (قارئ النص القرآني) ، وهو المشار إليه في مقولة صبحي الفقي السابقة ، أما المتلقي الثاني : فهو المتلقي الداخلي (موسى عليه السلام) .

أما المرسل في قصتنا موضع الدراسة فهو الخضر " العبد الصالح ، فالمرسل هو (الطرف الذي يتولى مهمة توجيه مجموعة من العلاقات المحملة بمعان محددة قصد إثارة رد فعل لدى طرف خارجي " المخاطب")[٢] .

وهنا تبرز أهمية الحوار الذي اعتمد عليه المتلقي الداخلي "موسى عليه السلام " في تلقيه لرسائل المرسل " الخضر عليه السلام " عبر إستراتيجية السؤال والجواب ، فالحوار (يقوم على مراجعة الكلام بين طرفين فأكثر ، بالسؤال و الجواب لغرض الإقناع ، و إظهار العبرة ، ويشترط فيه وحدة الموضوع ، ويعكس الحوار موقف المحاور وشخصيته ، ومقدار تفكيره ، وحرصه على تحقيق هدفه ، بالحجة وترتيب الأفكار و تسلسلها)[٣] .

وتجمع المعاجم عامة ، والأدبية منها خاصة أن الحوار (حديث يدور بين اثنين في الأقل ، أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه ، أو من ينزله مقام نفسه)[٤]

وإلى هذه الجدلية بين طرفي العملية الاتصالية أشار الدكتور مصطفى حجازي إلى أن (توجيه رسالة إلى متلقٍ معين ينتج عنه بالضرورة رد فعل معين ...، ورد الفعل هذا هو الذي

١. صبحي الفقي : علم لغة النص بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، ج١/١١٠ .
٢. مصطفى حجازي : الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية و الإدارة ،المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ،بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ٢٦ .
٣. عبد الحليم خفي : أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، ص١٦.
٤. جبور عبد النور: المعجم الأدبي ، مرجع سابق ،ص ١٠٠ .

يساعد المرسل على توجيه الخطوات الموالية في عملية الإرسال ، حيث يعدل، أو يعزز ، أو يلطف في محتويات الرسالة ...)[١] .

وهنا يأتي دور المحلل النصي حيث يرصد جوانب التفاعل والمفاعلة بين طرفي الحوار ، ويكشف عن صدى ذلك في تماسك بنية النص وتلاحم أجزائه على امتداد الحوار ؛ فطبيعة البنية الحوارية تمثل حقلاً خصباً للدرس النصي إذ إنه (في دائرة الحوار نفترض بالضرورة وجود الآخر؛ فإذا كان هذا الآخر متعاوناً كانت المشاورة ، و إن كان منازعاً كانت المناظرة ،أما إن كان منقاداً دون روية كان الاستهواء)[٢] .

والباحث في هذه الدراسة سيعنى بتحليل أبعاد التماسك النصي الدلالي مراعياً هذين البعدين من التلقي لأنهما عماد البحث النصي ، وعلى الدرجة نفسها من الأهمية .

وتأسيساً على ما تقدم فإن الحالة الحوارية التي قامت عليها النظرية النصية هي ذاتها الركيزة التي بنيت عليها حبكة قصة موسى والخضر ؛ومن ثم فإن هذه القصة تمثل مادة طيّعة للبحث النصي .

نبذة موجزة حول قصة موسى والفتى والعبد الصالح :

لا يخفى على القارئ أن قصة موسى والفتى و العبد الصالح من القصص غير المكررة في القرآن الكريم ؛ فكثير من القصص القرآني قد تكرر ذكره في أكثر موضع في القرآن الكريم ، أما قصتنا هذه فلها خصوصية التفرد من هذه الناحية ؛ فلم يرد ذكرها في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في القرآن الكريم هي التي بين أيدينا في سورة الكهف من الآية الستين إلى الآية الثانية بعد الثمانين . كما أنها واحدة من قصص موسى عليه السلام التي لم تذكر أحداثها إلا في موضع

١. مصطفى حجازي : الاتصال الفعال . مرجع سابق ، ص ٣٨ .

٢. محمد العمري : دائرة الحوار ومزالق العنف ،كشف أساليب الإعانات و المغالطة ، مساهمة في تخليق الخطاب ،دارإفريقيا الشرق ط١ ،٢٠٠٢م، ص١٠ .

واحد أيضاً ، في حين تكررت قصص موسى الأخرى في القرآن في أكثر من موضع ؛ وهذا يدعم ضرورة دراسة هذه القصة دراسة نصية بغية الوقوف على أبعاد التماسك النصي داخلها .

يقول أبو الحسن الندوي رحمه الله : (قصة موسى والخضر إنها قصة هذه الحياة ، وقصة هذا الكون الذي نعيش فيه ، إنها قصة تثبت في صورة عملية واضحة رائعة أن وراء المعلومات والمكشوفات في هذا العالم ، وفي هذه الحياة مجهولات كثيرة ، وأن ما يجهله الإنسان – وإن كان أعظم إنسان في عصره – أكثر مما يعلمه ، وإنه دائماً يبني حكمه على ما يشاهده ، ويشعر به ...، فإن الحياة غامضة ملتوية ،و أن الكون واسع فسيح ، وكثيراً ما يختلف الباطن عن الظاهر ، والآخر عن الأول ،وفي هذه الحياة ألغازاً لم يستطع الإنسان – على علمه وحرصه – أن يحلها ... ، لقد اختار الله لتقرير هذه الحقيقة العظيمة – التي هي أساس الأديان أو الإيمان بالغيب – أعظم شخصية في عصره ، والذي أوتي علماً كثيراً و خيراً كثيراً ، هو موسى عليه السلام أحد أولي العزم من الرسل)[1] .

فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحداً أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى : بلى ، عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه ، فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، وكان يتبع أثر الحوت في البحر فقال لموسى فتاه :" قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا " فقال موسى " **قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا** " فوجدا خضراً فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه)[2] .

---

١. أبو الحسن علي الحسني الندوي : الصراع بين الإيمان و المادية تأملات في سورة الكهف ، دار القلم ، ط١ ،١٣٩٠هـ ، ١٩٧١م ، ص٩٣/٩٤ .

٢. ابن حجر :فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق ،محمد فؤاد عبد الباقي ،١٩٨٦م،دار الريان القاهرة ،ج٢٠٨/١، ح ٧٨ .

وقد روي عن ابن عباس ما يعكس مكانة هذه القصة عند الرسول ﷺ حيث قال :(وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا خبرهما)[١] .

وفي رواية أبيّ بن كعب عن الرسول ﷺ أنه قال : (رحمة الله علينا وعلى موسى ، لولا أنه عجل لرأى العجيب ، لكن أخذته من صاحبه ذمامة)[٢] . وذمامة أي حياء وإشفاق من الذم : اللوم[٣] .

إن بنية هذه القصة بنية تهدف إلى الإثارة والتشويق ؛ حيث إنها قصة تهدف في جوهرها إلى الوعظ وأخذ العبرة ، فالعظة هنا كما عبر عنها سيد قطب : (بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة ، و الحكمة الكونية البعيدة الآجلة)[٤] .

تبقى الإشارة إلى أمرين يرتبطان بعنوان الدراسة ، أما أولهما : آثر الباحث أن يكون عنوان هذه الدراسة مشتملاً على تركيب " العبد الصالح " بدلاً عن " الخضر " لسبب ألا وهو الابتعاد عن دائرة الجدل الدائر حول ماهية الرجل حيث ذهب (الجمهور على أنه الخضر ،واسمه بليان بن ملكان ، وقيل اليسع ، وقيل إلياس ، عليهم الصلاة والسلام)[٥] . إذن فالذي يعنينا في هذا المقام وصفه لا اسمه . الأمر الثاني : آثر الباحث أيضاً ذكر " الفتى " في العنوان ؛ لأنه مثَّل بعداً حوارياً مع موسى لا يقل أهمية عن حوار موسى مع العبد الصالح ؛ ومن ثم فإنه ليس من الممكن أن يغفل ذكره .

---

١. السابق : ج٨/٢٦١، ح ٤٧٢٥ ،وفي كتاب العلم باب ما يستحب للعالم إذا سئل ٢٦٣/١ ، ح/١٢٢ .

٢. أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الفضائل ،من فضائل الخضر عليه السلام ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الحديث ، ١٩٩١ ج٤/١٨٥٠، ح ١٧٢ .

٣. انظر ابن الأثير الجزري : النهاية في غريب الحديث و الأثر ،دار الفكر، بيروت، ط٢ ،١٩٧٩م ،ج١٧٠/٢ .

٤. سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ،مرجع سابق ،ص١٥٥ .

٥. أبو السعود : تفسير أبي السعود ، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)حققه :محمد العفيفي،خيري سعيد ، دار المصطفى للطباعة،القاهرة د.ت، ، ج٢١٥/٤ .

علاقة قصة موسى والفتى العبد الصالح بقصص سورة الكهف :

جاءت سورة الكهف مشتملة أربع قصص هي بالترتيب : قصة أصحاب الكهف ، تلاها قصة صاحب الجنتين ، ثم قصتنا هذه " قصة موسى والعبد الصالح " ، وأخيراً قصة ذي القرنين .

وقد بدأت قصة موسى والخضر بقوله تعإلى (واذكر) ، يقول الإمام الرازي : (أي اعلم ، أن هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله في هذه السورة ، وهي أن موسى عليه السلام ذهب إلى الخضر عليه السلام ليتعلم منه العلم ، وهذا و إن كان كلاماً مستقلاً في نفسه إلا أنه يعين على ما هو المقصود في القصتين السابقتين . أما نفع هذه القصة في الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال و الأنصار ، فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه و استجماع موجبات الشرف التام في حقه ذهب إلى الخضر لطلب العلم وتواضع له، وذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر . وأما نفع هذه القصة في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا لكفار مكة : إن أخبركم محمد عن هذه القصة فهو نبي و إلا فلا ، وهذا ليس بشيء لأنه لا يلزم من كونه نبياً من عند الله تعإلى أن يكون عالماً بجميع القصص و الوقائع ، كما أن كون موسى عليه السلام نبياً صادقاً من عند الله لم يمنع من أمر الله إياه بأن يذهب إلى الخضر ليتعلم منه . فظهر مما ذكرنا أن هذه القصة قصة مستقلة بنفسها ؛ومع ذلك فهي نافعة في تقرير المقصود في القصتين المتقدمتين)[١] .

والملحوظ في كلام الرازي إقراره بأن قصة موسى والخضر تعيين على فهم المقصود في القصتين السابقتين – على حد تعبيره – فالرازي وقف في تفسيره على مضمون كل قصة من القصص ، واتخذه دليلاً على وجود علاقة بين القصص وبعضها ،ولكن الرازي نظر إلى هذه العلاقة من منظور الإفادة ، وخلص إلى أن الرابط هو " التواضع خير من التكبر" .

١. محمد الرازي :تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ،دار الفكر بيروت ،لبنان ، ط٣١٤٠٥هـ .١٩٨٥م ، مج ١١ / ج٢١ / ص١٤٤ . [١]

وقد جاء في بحر العلوم حول هذه القصة أنه قد (قدم لقصة ذي القرنين قصة أهم منها ، وهي قصة موسى و الخضر – عليهما السلام – لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف ؛ فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض ، وموسى – عليه السلام – خرج في طلب العلم . وفي ذكر قصة موسى تعريض بأحبار بني إسرائيل ، إذ اهتموا بخبر ملك من غير قومهم ولا من أهل دينهم ، ونسوا خبراً من سيرة نبيهم .)[١].

كما ذكر أبو السعود ما يفسر الارتباط بين بداية هذه القصة و نهاية القصة السابقة لها بقوله : (ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان أن لكل أمة موعداً تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة)[٢]

أما صبحي الفقي فقد نظر إلى الارتباط بين هذه القصص بمنظور آخر هو منظور انتصار الحق دائماً حيث يقول : (أما قصة موسى عليه السلام مع الخضر ، ففيها بيان فضل العبد الذي منحه الرحمة والعلم .هذا الفضل الذي أدى إلى نجاة أهل السفينة من الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً . وأدى كذلك إلى نجاة الأبوين من الابن العاق لأنهما كانا مؤمنين . وأدى أيضاً إلى الحفاظ على كنز اليتيمين لأن أباهما كان صالحاً. وهذه النماذج الثلاث انتصار للحق كما حدث في القصص السابقة)[٣] .

ولا يبعد سيد قطب بعيداً حينما جعل الرابط بين قصة موسى والخضر وبقية قصص السورة هو رباط الغيب حيث يقول : (قصة موسى مع العبد الصالح ترتبط في سياق السورة بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله الذي يدبر الأمر بحكمته ...)[٤] .

١. السمرقندي : بحر العلوم ، تحقيق وتعليق علي محمد معوض،عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م ، ١٤٢٧ هـ ، مج ٢/ص ٢٨٨ .

٢. أبو السعود : تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ،ج٤/٢١٣.

٣. صبحي الفقي:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،مرجع سابق،ج ٢٩٢/١-٢٩٣ .

٤. سيد قطب في ظلال القرآن ، دار الشروق ،مصر ، ط ١٦ ، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، ج٤/٢٢٨٢ .

أما الدراسة المهمة التي أعدتها الدكتورة حسنة عبد السميع ، والموسومة بـ (الترابط النصي في سورة الكهف) فقد كان باعثها الرئيس مقولة كارل جوستاف يونج – غير الصحيحة – حول التماسك في القرآن الكريم حينما ادعى أن الانتقال بين القصص الواردة في سورة الكهف انتقال مفاجئ بغض النظر عن المفارقة التاريخية التي لم نسمع عنها " على حد تعبيره "... ، وانتهى يونج إلى نتيجة مؤداها أن التماسك يعد أمراً غير مألوف في القرآن[١] .

والجدير بالذكر أن مقولة يونج هذه كانت دافعاً للدكتورة حسنة إلي النهوض بهذه الدراسة التي تمركزت حول إثبات التماسك النصي في سورة الكهف كاملة ، والتي أثبتت وفق آليات نقدية التماسك القائم بين أجزاء السورة على امتدادها ؛ وهو ما أكد عجز يونج عن فهم تعدد الأساليب والموضوعات في الثقافة العربية في مجملها ، وفي سورة الكهف على وجه الخصوص ؛ مما جعل سورة الكهف في نظر يونج سورة مفككة غير مترابطة الأجزاء ، بل دفعته هذه النظرة إلى أبعد من ذلك ؛ حيث يخرج بنتيجة عامة غير دقيقة مؤداها أن التماسك أمر يتناقض من القرآن . وهذا ما دحضته الباحثة بالأدلة والبراهين الدامغة وفق أسس نقدية من جانب، بلاغية من جانب آخر [٢] .

وتجدر الإشارة هنا أن نقطة الالتقاء بين هذه الدراسة و الدراسة الحالية هي نهوضهما حول الكشف عن آليات التماسك النصي ؛ لكن مع اختلاف مادة الدراسة ،واختلاف الأدوات ؛ فمادة الدراسة الحالية قامت حول قصة واحدة فقط هي قصة موسى والخضر ، في حين نهضت دراسة الدكتورة حسنة حول السورة ككل ،وهذا الاختلاف – بالطبع – في المادة من شأنه أن يولد اختلافاً في أدوات التحليل النصي ؛ فقد انصب اهتمام الباحث في الدراسة الحالية حول إثبات التماسك

١. انظر :كارل جوستاف يونج :من الأعمال الكاملة ."نسق يطابق أنساق الرموز الكاشفة عن عمليات التحول"،ترجمة حسنة عبد السميع ،مجلة الألسن للترجمة ،كلية الألسن ، العدد الخامس يناير – يونيو ٢٠٠٤م ، القاهرة ، ص ٢٨–٣٤ .

٢. حسنة عبد السميع : الترابط النصي في سورة الكهف ، منشورات أعمال المؤتمر الثالث للنقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص٦ .

داخل بنية القصة القرآنية فقط بشكلها ومفهومها الفني ، في حين كان جهد الدكتورة حسنة موزعاً على امتداد السورة ببنيتها الكلية .

يضاف إلى ما سبق أن أدوات التحليل النصي التي اتكأت عليها الباحثة قد جنحت إلى البعدين النقدي والبلاغي ، وما يستدعيانه من الالتفات إلى رسم ملامح الشخصيات ،وطبائع كل شخصية ، والزمان ودلالاته ، والمكان وأبعاده ، بالإضافة إلى رصد المشاهد الحركية ،والأغراض البلاغية ....إلخ .

وقبل الولوج إلى التحليل النصي للقصة تبقى الإشارة إلى أن الباحث قد أفاد من كافة الدراسات ومنها كتب التفاسير ، وكتب الأعاريب ، وكتب البلاغة القرآنية ،كما أفاد الباحث من الدراسات المعاصرة التي تناولت مثل هذا النوع من الدراسات ، وثبت المراجع يكشف هذا الجانب .

إجراءات التحليل النصي الدلالي :

تقوم الأسس التطبيقية للتحليل النصي الدلالي على مجموعة من الإجراءات نوردها على النحو الآتي[١] :

تعتمد أولى خطوات التحليل الإجرائية على تقسيم النص إلى أجزاء ، يشمل كل جزء منها على مجموعة من الآيات يجمعها موضوع ذو فكرة واحدة topic ، وفي داخل هذه الوحدات نجد مجموعة من المجموعات الفرعية items ، موزعة على عدد من الوحدات الصغرى ؛ بحيث تقدم كل وحدة منها معلومة معرفية ، أو فكرة تحملها كلمة أو عبارة أو فقرة . وترتبط هذه الأفكار الجزئية التي تتضمنها الوحدات الصغرى بكل جزء من أجزاء السورة بروابط نحوية ، أو بتراكيب لغوية تقوم بينها علاقات تماسك . وأهم ما يحكم على ترابط أجزاء الرسالة هو تأثير كل فكرة أو معلومة على معرفة المتلقي ، و إسهامها في فهمه للرسالة ككل .

ولكي نحدد أجزاء النص الكبرى ، ثم الوحدات الصغرى التي يتكون منها كل جزء ، والأفكار التي تشتمل عليها كل وحدة صغرى ، لابد من وجود علامات paragraph markers تحدد

---

١. انظر :حسنة عبد السميع : الترابط النصي في سورة الكهف ، مرجع سابق ، ص ٥ –٦ بتصرف .

بداية الأجزاء ، مما يقيد دائرة الاحتمالات ، ويوجه القارئ نحو فهم العلاقة بين هذه الأجزاء بوصفها وحدات السورة الكبرى .

ومن هذه العلامات ما يأتي :

أ- **التحول الأساسي في المضمون .**

ب- **وجود علامة نحوية أو تركيب لغوي يميز بداية الوحدات الكبرى ، أو أجزاء النص المستقلة بموضوع واحد يعد محوراً يدور حوله ما تحمله من أفكار .**

وأحياناً يكون هناك روابط من هذا النوع تميز الوحدات الصغرى units داخل هذه الأجزاء .

فمن العناصر اللغوية التي تصاحب تغيير الموضوع من وحدة لأخرى مثلاً : التغير المفاجئ في الضمير ، أو في بنية الجملة ، أو التغير في استخدام علامة مميزة أو عنصر من العناصر تبدأ به عادة الوحدة النصية، سواء أكان أسلوباً من الأساليب النحوية، أم صيغة صرفية ، أم وحدة معجمية .

فالطريقة التي تتآزر بها مجموعة من الجمل معاً لتشكل موضوعاً له فكرة محورية تدور حولها، إنما تعتمد على الطريقة التي تبدأ بها كل وحدة وتنتهي . فما العلامة النحوية لبداية الوحدة أو التركيب اللغوي سوى علامة ربط بين الأجزاء الكبرى ، بل أحياناً بين الوحدات الصغرى دون أن يؤثر في حذفها المعنى .

وبتطبيق هذا الإطار الإجرائي على قصة موسى والخضر ، ومحاولة سبر قدرة هذا المنهج في التحليل على استكشاف آليات التماسك النصي الدلالي داخل نموذج من نماذج القصص القرآني ؛ أمكن الباحث تقسيم القصة إلى أربع وحدات كبرى على النحو الآتي :

الوحدة النصية الكبرى الأولى : خروج موسى وفتاه طلباً للقاء الخضر . (من الآية ٦٠إلى الآية٦٤) .

الوحدة النصية الكبرى الثانية : لقاء موسى بالخضر قبل بدء رحلتهما معاً. (من الآية ٦٥إلى الآية ٧٠) .

الوحدة النصية الكبرى الثالثة : صحبة موسى للخضر ورؤيته للعجائب . (من الآية ٧١إلى الآية ٧٨) .

الوحدة النصية الكبرى الرابعة : فراق الخضر لموسى وإخباره بالحقائق الكامنة وراء تلك العجائب . (من الآية ٧٩ إلى الآية ٨٢) .

وتجدر هنا الإشارة إلى ثلاثة أمور– لا تخفى حتماً على القارئ – وهي :

أولاً :أن هذا التقسيم لا يتعارض على الإطلاق مع طبيعة دراسة التماسك ،ولا يتعارض أيضاً مع طبيعة القرآن الكريم ، بل على العكس ؛ فإن هذا التقسيم من شأنه أن يسهم في كشف آليات التماسك بين الأجزاء مهما تباعدت داخل النص الواحد ، بل ربما بين النصوص وبعضها البعض .ما بالنا إذا كان هذا النص هو القرآن الكريم ؛ فهذا ابن هشام الأنصاري يقر تلك الحقيقة للقرآن الكريم بقوله : (إن القرآن كالسورة الواحدة ؛ يذكر الشيء في سورة ، و يأتي الجواب في سورة أخرى)[١]

ثانياً: أن هذا التقسيم من الباحث ليس مفروضاً من الباحث على النص ، بل على العكس هو تقسيم فرضته أحداث القصة في ضوء التحليل النصي ؛ فكل وحدة نصية من هذه الوحدات الأربعة تمثل بدقة وحدة ذات طابع مشترك من الدلالات ؛ حيث يشمل كل جزء منها على مجموعة من الآيات يجمعها موضوع ذو فكرة واحدة ، كما يميز كل وحدة منها مجموعة من العلامات .

ثالثاً : أن هذا التقسيم جاء مغايراً لجل الدراسات الجمالية البلاغية التي تناولت هذه القصة – أو غيرها – بالشرح و التحليل؛ وهذا أمر طبيعي ؛ إذ إن هذه الدراسات قد قيدت نفسها ،وقيدت

١. ابن هشام الأنصاري :مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب ، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، السلسلة التراثية ، الكويت ، ط١ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م ، ج ٣/ ٣٣٦.

معها الباحثين بشكل محدد وثابت لتقسيم أحداث أي قصة ، أعني بها آلية تقسيم هذا اللون الفني إلى ثلاثة أجزاء ثابتة (بداية ، وسط ، نهاية) ، ثم ينطلق الباحثون نحو تحليل الأحداث في ضوء هذه المراحل الثلاثة[1] .

ويمكن عرض الوحدات النصية لقصة موسى والعبد الصالح على النحو الآتي :

الوحدة النصية الأولى : يقول الله تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤)

الوحدة النصية الثانية : يقول الله تعالى :

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)

الوحدة النصية الثالثة : يقول الله تعالى :

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا

١. انظر :محمد الحسناوي: دراسة جمالية بيانية في أربع سور :الإسراء،الكهف،مريم،طه،دار عمار للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،٢٠٠٦م،ص١٠٠.

(٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦)

الوحدة النصية الرابعة : يقول الله تعالى :

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)

المبحث الأول

التحليل النصي لأحداث القصة في ضوء تقسيم الوحدات النصية الرئيسة

أولاً : إذا نظرنا إلى الوحدات الرئيسة لهذه القصة بوصفها وحدات نصية ذات معايير مشتركة نلاحظ أنه من الناحية الكمية ؛ قد شغلت الوحدة الأولى عدد خمس آيات ، والوحدة الثانية قد شغلت ست آيات ، أما الوحدة الثالثة فشغلت ثماني آيات ، وأخيراً شغلت الوحدة الرابعة والأخيرة عدد أربع آيات فقط ؛ مما يعني – وفقاً لمنظور المناسبة – أن هذا التقسيم للوحدات يتناسب مع تطور الأحداث داخل القصة القرآنية ؛ حيث أخذت الأحداث المنحى التصاعدي حتى بلغت ذروتها أثناء الرحلة ،حيث رؤية موسى لعجب العجاب ؛ ومن ثم أخذ المنحى في الهبوط مرة أخرى عند نقطة الحل ، حيث انكشاف الأسرار ، وزوال العجب بمعرفة الحكمة والسبب ، ووضع حد للنهاية .

ثانياً : أن كل وحدة رئيسة قد ضمت مجموعة من الآيات يجمعها موضوع ذو فكرة واحدة ؛ ويمكن تفسير ذلك على الوحدات الرئيسة لقصتنا موضع الدراسة على النحو الآتي :

- **موضوع الوحدة الأولى خروج موسى وفتاه طلباً للعبد الصالح .**
- **موضوع الوحدة الثانية لقاء موسى بالعبد الصالح وطلبه أن يتبعه .**
- **موضوع الوحدة الثالثة مصاحبة موسى للعبد الصالح ورؤية العجائب.**
- **موضوع الوحدة الرابعة مفارقة موسى للعبد الصالح وإدراكه للحقائق.**

ثالثاً : جاء التماسك بين الوحدات الأربعة على النحو الآتي :

- **التماسك بين الوحدة النصية الأولى والثانية : قد تحقق عبر الارتباط بين قوله تعالى :** (فَارْتَدَّا عَلَى آَثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ...) الآية ٦٥ .

والاتصال بين هاتين الوحدتين على هذه الشاكلة يؤكد لماذا كانت الآية الرابعة والستون نهاية وحدة ؛ إذ إن هذا الارتداد من موسى وفتاه يعد نقطة تحول إلى بداية جديدة ، ولمرحلة جديدة ؛ هذه المرحلة الجديدة لم تبدأ بالفعل إلا بلقاء العبد الصالح ، والذي مثله قوله تعالى : (فوجدا ...) ؛ فلقاء العبد الصالح كان إيذاناً ببدء مرحلة جديدة تالية. والاتصال والتلاحم هنا لا يستشعر معه القارئ أي تنافر أو تباعد بين الأجزاء وبعضها ؛ إذ إنه أصبح واقعاً بين فعلين إنجازيين هما (فارتدا ..... فوجدا .....) . لتبدأ بعدها تفاصيل مرحلة جديدة متلاحمة أيضاً كما سنرى .

- **التماسك بين الوحدة النصية الثانية و الثالثة : قد تحقق هذه المرة وفق آلية أكثر عمقاً تعتمد على الإعلامية ، التي تقوم على توقع القارئ لما حدث ؛ وهو ما يظهر جلياً عبر آلية الحذف بين الآيتين السبعين و التي تليها :** (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا ...) . الآية ٧١ .

فالحذف بين الآيتين واقع بما يقدره القارئ ويعلمه حتماً ويتوقعه ، وهو موافقة موسى على الشرط الذي عقده الخضر بينه وبين موسى ؛ فالعبد الصالح قد اشترط شرطاً على موسى وهو ألا يسأله عن شيء حتى يحدثه في أمره الخضر ، ثم جاءت الآية التي تليها بادئة بـ (فانطلقا.....) ، هذا الانطلاق الذي يعني موافقة موسى على شرط الخضر ، وإن لم تذكره الآيات نصاً ، ولكن القارئ يدرك ذلك بالفعل ، وإلا لم تكن المرحلة الثالثة لتبدأ لولا إقرار موسى بشرط الخضر .
وخلاصة القول إن الجملة المحذوفة هنا – والتي تنص على مضمون متوقع هو موافقة موسى لشرط الخضر – قد أدت وظيفة التلاحم والتماسك بين الوحدتين الثانية والثالثة ؛ وهنا تتجلى وظيفة الحذف في التماسك النصي . وسوف يذكر ذلك تفصيلاً في مبحث الحذف .

– **أما التماسك بين الوحدتين النصية الثالثة والرابعة : فقد تحقق عبر آلية الإجمال والتفصيل حيث ؛ انتهت الوحدة النصية الثالثة بقوله تعالى :** (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)

فهذه الآية قد وضعت نهاية فعلية للوحدة النصية الثالثة ؛ ومهدت في الوقت ذاته لبدء الوحدة النصية الأخيرة لأحداث القصة ؛ أما النهاية الفعلية فتمثلت في قوله تعالى : (هذا فراق بيني وبينك) ؛ فالفراق بينهما يعني بالفعل انتهاء الرحلة . أما التمهيد للوحدة النصية التالية فقد مثله قول الله تعالى : (سأنبك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) ؛ فهذا القول المجمل قد استدعى أن تكون الوحدة الأخيرة تفصيلاً لهذه الأمور ؛ ويثبت صحة هذا أن جميع جملها – أعني جمل الوحدة الأخيرة – جاءت معتمدة على الحرف (أما) .... .
رابعاً : أن كل وحدة رئيسة من هذه الوحدات النصية قد ضمت مجموعة من الموضوعات الفرعية ، موزعة على عدد من الوحدات الصغرى ؛ وقد قدمت كل وحدة منها معلومات معرفية حملتها الكلمات والجمل والعبارات ، ويمكن تلمس ذلك على النحو الآتي :

- **ضمت الوحدة النصية الأولى عدداً من الموضوعات الفرعية هي : إقرار موسى لفتاه أنه لن يبرح الأرض حتى يبلغ الموضع الذي سيلقى فيه العبد الصالح ، جهل موسى وفتاه بأمر الموضع رغم بلوغه ، أمر الحوت العجيب ، تجاوزهما الموضع ونسيان الفتى أن يذكره لموسى ، شعورهما بالجوع والإرهاق وطلب الطعام ، تذكر الفتى لأمر الحوت ، ارتداد موسى وفتاه لموضع فقد الحوت.**
- **ضمت الوحدة النصية الثانية عدداً من الموضوعات الفرعية هي : لقاء العبد الصالح وسرد صفاته بجملة سردية خارج البنية الحوارية للقصة ؛ حيث جاءت معلومات صفاته أنه: عبد من عباد الله الصالحين ، عبد آتاه الله رحمة من عنده ، كما آتاه علماً من لدنه . كما ضمت هذه الوحدة معلومات أخرى مثل : الحوار الذي تضمن بنود الاتفاق بين موسى والعبد الصالح حيث ؛ طلب موسى ، وإخبار الخضر له بأنه لن يصبر على أمور لم يحط بها خبراً، ثم وعد موسى للخضر ، ثم موافقة الخضر المشروطة .**
- **ضمت الوحدة النصية الثالثة أكبر كم من الموضوعات الفرعية ؛ حيث تبلغ الأحداث ذروتها ؛ وتوالت الموضوعات الفرعية : موضوع السفينة وما كان من أمرها ، ثم موضوع الغلام وما كان من أمر قتله ، وأخيراً أمر الجدار الذي كان محطة أخيرة في هذه الرحلة ، ونقطة الافتراق بينهما .**

والجدير بالذكر أن كل أمر من هذه الأمور قد تخللته عدة معلومات فرعية أخرى ساعدت على حبك أحداث القصة كما سنرى في التحليل النصي لأدوات التماسك على مستوى البنية الداخلية للقصة . فتوالت المواقف بين موسى والخضر ما بين (حدث غريب يتلوه استنكار ، ثم تذكرة يعقبها اعتذار ، ثم حدث ....إلخ ، وهكذا حتى يضع موسى بنفسه حداً لهذه الرحلة

حينما قال : " إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ... " ، ثم تأتي نهاية المرحلة بقوله : " هذا فراق بيني وبينك ".

- **جاءت الوحدة النصية الرابعة لتستمد موضوعاتها مما جاء مبهماً على موسى " المتلقي الداخلي " ، وعلى القارئ " المتلقي الخارجي " ؛ لتكون موضوعات هذه الوحدة النصية الأخيرة تفصيل لما جاء مجملاً وغامضاً ، وتحمل المعلومات الخافية على موسى والقارئ معاً ، والتي اختص الله بعلمها عبده الصالح ؛ ليدرك موسى حدود علمه مقارنة بهذا العبد الصالح ، ومن ثم تتحقق الغاية من القصة القرآنية .**

والجدير بالذكر أن علماء لغة النص قد اشترطوا أن أهم ما يحكم على ترابط أجزاء الرسالة هو تأثير كل فكرة أو معلومة على معرفة المتلقي – سواء الداخلي أو الخارجي في قصتنا – وإسهامها في فهمه للرسالة ككل . وهذا ما يلاحظه القارئ متحققاً بالفعل في قصتنا من خلال التقسيم السابق للوحدات النصية .

خامساً : أن العلامات التي تحدد كل وحدة نصية كبرى قد تمثلت فيما يأتي :

- **التحول الأساسي في المضمون بين كل وحدة وأخرى ، وهذا سبق ذكره في النقطة ثانياً من هذا التحليل .**
- **وجود العلامات النحوية ، والتراكيب اللغوية التي تميز بدايات الوحدات الكبرى ، وذلك على النحو الآتي :**
- **كانت الوحدة النصية الأولى وحدة ذات طابع خاص يكاد يكون موضوعه محوراً لما ستدور حوله أحداث القصة ؛ لأن الطرف الثاني فيه كان شخصية فرعية في الأحداث انتهى دورها بمجرد لقاء العبد الصالح ؛ ومن ثم ما حملته هذه الوحدة من علامات كان ممهداً لباقي الأحداث المتتالية بعد ذلك .**

– أما الوحدة النصية الثانية فقد كانت العلامة المميزة فيها الاعتماد على الأفعال الكلامية ؛ لأنها مرحلة الاتفاق ، وما يستلزمها من إبرام للضوابط والشروط ، واللافت للنظر أن هذه الوحدة النصية قد بدأت بآية ذات طابع سردي – خارجة عن نمط الحوار – هذه الآية كانت ضرورية في موضعها ؛ لأنها قد تضمنت وصفاً للعبد الصالح الذي يجهله المتلقي – الداخلي و الخارجي على حد سواء – فأبرزت الآية صفاته بأن الله قد آتاه أمرين : رحمة من عند الله ، وعلماً من لدنه سبحانه ؛ وهذا ما يبرز ما خصه الله سبحانه به دون غيره . يقول أبو السعود : (" رحمة من عندنا " هي الوحي والنبوة كما يُشعر به تنكير الرحمة و اختصاصها بجانب الكبرياء ، " علماً من لدنا " خاصاً لا يكتنه كنهه ، ولا يقادر قدره ، وهو علم الغيوب)[1]

ومن هنا تتجلى أهمية هذه الآية السردية – البعيدة عن الطابع الحواري الغالب على أجزاء القصة – في صدر الوحدة النصية الثانية التي بدأت بلقاء العبد الصالح ؛ مما يستلزم معه وصف له ، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين حول أهم ما يميز القصة القرآنية بقوله : (... إن السرد ينهض بتقديم الأحداث ، والشخصيات تبرز كمحور رئيس للأحداث ، وإن مزية الإبداع في قصص القرآن تقاس بجودة أسلوبه ،وقوة تأثيره في البيئة التي نزل بها ، وفي أصحاب الذوق البياني ممن حذق العربية ،ووقف على أسرارها)[2] .

– أما العلامة البارزة التي ميزت الوحدة الثالثة فقد تمثلت في جملة محورية تصدرت بها الوحدة ذاتها ، بل مثلت رابطاً لفظياً على امتداد آيات الوحدة ؛ وأعني بها قوله تعإلى : (فانطلقا حتى إذا...) ، فهذا التركيب اللغوي المكون من : الفاء + الفعل (انطلقا)+ إذا + فعل إنجازي متنوع .

قد أدى وظيفة نصية كبرى داخل بنية القصة في هذه الوحدة الثالثة ؛ حيث مثل رابطاً بين الوحدتين الثانية والثالثة من جانب ، وبين الأفكار الفرعية داخل بنية الوحدة الثالثة

١. أبو السعود : تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج٤/٢١٦ .

٢. انظر :التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع ،١٩٧١م، ص ٣١١ وما بعدها .

من جانب آخر؛ مما أسهم في إحداث التماسك النصي داخل بنية القصة عامة ، وبين أجزاء أحداث ومعلومات الوحدة الثالثة من جانب آخر .

- **وأخيراً فقد كانت العلامة المميزة للوحدة النصية الرابعة هي جملة محورية تصدرت بها الوحدة ذاتها ، بل مثلت رابطاً لفظياً على امتداد آيات الوحدة ؛ وأعني بها قوله تعالى : (أما .....فكان /فكانت.../ فأراد/فأردنا/فأراد ربك ....) .**

فهذا التركيب اللغوي المكون من : أما + الفعل(الاسم الظاهر)+ الفاء + فعل الكينونة+ بيان الحكمة الإلهية . قد أدى وظيفة نصية كبرى داخل بنية القصة في هذه الوحدة الرابعة ؛ حيث مثل رابطاً بين الوحدتين الثانية والثالثة من جانب ؛إذ إنه جاء تفصيلاً لما جاء غامضاً مجملاً في الوحدة الثالثة، وبين الأفكار الفرعية داخل بنية الوحدة الرابعة من جانب آخر؛ مما أسهم في إحداث التماسك النصي داخل بنية القصة عامة ، وبين أجزاء أحداث ومعلومات الوحدة الرابعة من جانب آخر .

والجدير بالذكر أن هذه العلامات التي ذكرناها عبر الوحدات النصية الأربعة قد أدت وظيفة التماسك النصي ذي الطابع الدلالي ؛ إذ إنها كانت دوالاً من دوال التحول من وحدة نصية إلى وحدة نصية أخرى من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانت دوالاً من دوال الربط بين موضوع وآخر من ناحية أخرى ؛ ومن ثم مثلت هذه العلامات علاقات للربط بين أجزاء النص القرآني .

المبحث الثاني

الربط بالأداة و أثره في التماسك النصي الدلالي :

آثر الباحث مسمى " الربط بالأداة " على مسمى " العطف " لسبب جوهري وهو : أن العطف سيلزم الباحث بأدوات العطف – فقط – التي أسهمت في تحقيق التماسك ، وهو ما يعني إغفال أدوات أخرى لها دور فعال ، لا يقل أهمية عن أدوات العطف ، في إحداث التماسك النصي الدلالي ، كالتماسك الملموس داخل أسلوب الشرط عبر أدوات الشرط .

فأداة الشرط (تؤدي وظيفة الربط و التعليق بين عبارة الشرط ، وبين عبارة الجواب ، ولا يصح القول جملة الشرط وجملة الجواب ؛لأن " الجملة " مصطلح للنظم يعبر عن فكرة تامة ، في حين لايصدق هذا المفهوم على ركني الشرط ؛ لأنهما لا يعبران عن فكرة تامة مستقلتين ... وللارتباط في الجملة الشرطية أنواع ؛ فمنه الارتباط السببي : وتكون فيه عبارة الجواب مسببة عن عبارة الشرط ولازمة لها ، نحو : " إن تفز تنل جائزة " ، إن نيل الجائزة سببه الفوز ، ويتحقق بتحققه و ينعدم بانعدامه . و ارتباط تلازمي : وفيه يقتصر ارتباط عبارة الجواب بعبارة الشرط على التلازم وتنعدم السببية ومنه قوله تعإلى : " من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت " سورة العنكبوت آية ٥ ، إن إتيان أجل الله لا يكون مسبباً عن رجاء لقائه ، و الارتباط بين عبارتي الشرط والجواب يقوم على وجه الملازمة ، فإن مجئ أجله تعإلى ولقاءه أمران متلازمان . والارتباط الثالث هو الارتباط التقابلي : ويكون الربط بين عبارتي الشرط و الجواب على سبيل المقابلة بينهما كقوله تعإلى : " و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السر و أخفى " سورة طه آية ٧ ،فالارتباط قائم بين العبارتين على وجه المقابلة بين الجهر والسر)[١] .

وفي ضوء ما تقدم كان اختيار الباحث للربط بالأداة ، بدلاً من العطف .

وعلى كل يظل العطف – بوصفه أحد آليات الربط باستخدام الأدوات – ذا علامة بارزة ومميزة في إحداث التماسك النصي داخل النصوص مهما تباعدت و امتدت أجزاؤها . و من أقرب مفاهيم العطف التي تتسق وهذه الوظيفة النصية ما ورد في معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ؛ حيث اعتبر العطف (وسيلة واضحة الإشارة إلى الارتباطات الواقعة بين الحوادث والمواقف ، ويتمثل في الوصل بربط شيئين لهما نفس المكانة ، والفصل بين شيئين لهما مكانتان بديلتان ، ووصل النقيض ،الذي يكون بربط شيئين لهما نفس المكانة ، ولكنهما يبدوان

١. سناء حميد البياتي :قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، دار وائل للنشر ، عمان –الأردن ، ط١ ،٢٠٠٣م ، ص٣٥٣، ص٣٨٥،بتصرف .

متدافعين أو غير متسقين في عالم النص ، أما الاتباع فربط بين شيئين تعتمد مكانة أحدهما على مكانة الآخر)[١] .

إلا أن هذا لا يعني إغفال التفات علماء اللغة والمفسرين منذ القدم إلى تلك الوظيفة النصية للعطف – وإن لم ينص على مصطلح النصية بلفظه – ؛ فالعطف يعد من أبرز أدوات التماسك النصي التي تؤدي إلى تحقيق الاتساق الداخلي بين عناصر النص و متتالياته الجملية مهما تباعد المدى بينها ؛ بل لقد التفت القدماء أيضاً إلى ما هو أعمق من ذلك ؛ حيث أكدوا أن العطف لا يؤدي وظيفة الربط هذه بمعزل عن البعد الدلالي ، وهذا ما أكده السيوطي بقوله :(الربط بين الجملتين لا بد له من مسوغ دلالي يجمع بينهما)[٢] .

ولا شك أن هذا القول من السيوطي يدعم الوظيفة الدلالية للعطف من ناحية ، ويؤكد مذهب الباحث في عنوان بحثه من ناحية أخرى ، حول وسم التماسك النصي بـ " الدلالي " .

بل إن السيوطي قد التفت إلى ما هو أعمق من مجرد ترابط المتتاليات الجملية بواسطة الروابط اللفظية ؛ حيث أكد وجوب استحسان تواليها حيث يقول حول وجود تلك الروابط اللفظية : (أن يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً)[٣] .

أما الجرجاني فقد فصل القول في الجمل و أنواعها من ناحية ، و في العلاقات بين الجمل من ناحية أخرى ، في لفتة دقيقة إلى طبيعة العلاقات بين الجمل وبعضها ؛ مما يعكس وعياً مبكراً بآليات الارتباط في نظام اللغة العربية . حيث يقول الجرجاني : (الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف ، والتأكيد مع المؤكد ، فلا يكون فيها العطف ألبتة ؛ لشبه العطف فيها – لو عطفت – بعطف الشيء على نفسه . وجملة حالها مع

---

[١] نعمان بوقرة : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب "دراسة معجمية"،عالم الكتب الحديث،جدارا للكتاب العالمي عمان ،الأردن، ط ٢٠٠٩،١م،ص ١٢٢-١٢٣.

[٢] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٤م،ج٣/٣٧١ .

[٣] المرجع السابق نفسه ،ج٣/٣١٦ .

التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله ، إلا أنه يشاركه في حكم ، ويدخل معه في معنى ، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو مضافاً إليه ، فيكون حقها العطف . وجملة ليست في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء ، فلا يكون إياه ولا مشاركاً له في معنى... ، فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية ، أو الانفصال إلى الغاية . والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين حالين)[١] .

ولعل هذه الوقفات – وغيرها – من علمائنا القدامى تثبت بطريقة أو بأخرى وعيهم المبكر بأبعاد التماسك النصي ، وإن اختلفت المسميات ، ويدعم هذا ، تلك الدراسات المعاصرة التي نهضت حول جهود القدماء ومنها على سبيل المثال لا الحصر قضايا الحداثة عن الجرجاني ، ودراسة الارتباط والربط لمصطفى حميدة ، والتي وقف فيها أيضاً على جهود الجرجاني في البحث النصي .

إذن فالمسألة ليست مجرد وجود أداة العطف بين المفردات أو الجمل وبعضها ، وإنما تكمن أهمية تلك الروابط اللفظية في الترابط الناتج عن وجودها . وتأكيداً لهذه الوظيفة النصية الدلالية للعطف فقد جعله علماء لغة النص في طليعة أدوات التماسك النصي ؛ حيث جعله ديفيد كريستال على رأس أدوات التماسك التي تتمثل في : (العطف ، المرجعية بنوعيها " القبلية ، و البعدية " ، الإبدال ، الحذف ، التكرار، أدوات معجمية)[٢] .

أما روبرت دي بوجراند فقد كان تناوله لهذا المبحث تناولاً عميقاً ؛ إذ إنه عدَ (الربط يشير إلى العلاقات بين المساحات ، أو بين الأشياء التي في هذه المساحات ، وقد عدد بوجراند أربعة أنواع من الربط : يربط مطلق الجمع صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما ....، ويربط التخيير صورتين أو أكثر من صور المعلومات على سبيل الاختيار ....، ويربط الاستدراك

---

١. عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز ،تحقيق الشيخ محمد عبدة،والشيخ محمد االشنقيطي، ومحمد رشيد رضا ،مكتبة القاهرة ،١٩٦١م ،١٥٩-١٦٠.

٢. انظر : صبحي إبراهيم الفقي :علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، ج١/١١٨ .

على سبيل السلب صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة التعارض ...، العلاقة بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة التدرج ؛ أي أن تحقق إحداهما يتوقف على حدوث الأخرى...)[١] .

ومن الواضح أن بوجراند قد تطرق إلى جل أشكال الربط ؛ سواء الربط القائم على وجود أدوات العطف ، أو الربط الذي يعتمد على الفهم و الإدراك الخفي للعلاقات . وهذا ما عبر عنه الدكتور محمد حماسة بقوله : (أوجد النظام اللغوي عدداً من وسائل الترابط في الجملة ؛ بعضها يعتمد على الفهم و الإدراك الخفي للعلاقات ، وبعضها الآخر يعتمد على الوسائل اللغوية المحسوسة ،سواء أكانت هذه الوسائل المعنوية واللفظية بين العناصر الإسنادية في الجملة ، وهي التي لا تنعقد الجملة بدونها ، أم بين العناصر غير الإسنادية في الجملة ، أم بين العناصر الإسنادية و غير الإسنادية في الجملة ، فإنها تؤدي غايتها بالقدر المقسوم لها)[٢] .

ويتفق ما قاله الدكتور حماسة مع ما ذهب إليه كل من درسلر و بوجراند ، حيث جعلا (الربط النحوي المعيار الأول ، وكانا يعنيان به : ربط مكونات النص السطحي ؛ أي ربط الكلمات مع بعضها البعض داخل النص ، كما جعلا التماسك الدلالي المعيار الثاني ، وكان المراد به لديهما : الوظائف التي تتشكل من خلال مكونات عالم النص ، وهكذا فالأول ربط بين علامات لغوية ، والثاني ربط بين تصورات عالم النص ...)[٣] .

ولم يبتعد الأزهر الزناد عما ذهب إليه معاصروه ؛ فقد أكد أن (الروابط التركيبية هي روابط بين الجمل داخل النص ، والروابط هذه علامات على علاقات بين الجمل)[٤] .

---

١. روبرت دي بوجراند:النص والخطاب والإجراء مرجع سابق،ص٣٤٦-٣٤٧. وانظر:محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ط المركز الثقافي العربي المغرب ،ط١ ، ١٩٩١م ، ص٢٣ ومابعدها .

٢. محمد حماسة عبد اللطيف : بناء الجملة العربية ، دار الشروق ، مصر ، ١٤١٦هـ ،١٩٩٦م ، ص ٧٨ وما بعدها .

٣. سعيد حسن بحيري : علم لغة النص ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

٤. الأزهر الزناد : نسيج النص " بحث في ما يكون به الملفوظ به نصاً ،المركز الثقافي العربي ،ط١ ، ١٩٩٣م،ص ٢٥ .

والجدير بالذكر أن العناية بمبحث العطف أو " الارتباط و الربط " قد دفعت الباحثين إلى إفراد مؤلفات كاملة تدرس هذا المبحث منفرداً ، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ما قدمه الدكتور عفت الشرقاوي في دراسته الموسومة بـ (بلاغة العطف في القرآن الكريم) ، والتي قدم فيها كثير من اللفتات البلاغية القائمة على البعد الجمالي للعطف ، والتي توصل من خلالها إلى نتيجة مؤداها أن العطف يؤدي دوراً مهماً في بنية السياق ؛ حيث يقول : (العطف تكتسب به الكلمات ارتباطاً جديداً يخرج بها عن ارتباطها التراثي المعتاد ، أو يوظف هذا الارتباط التراثي من أجل تحقيق السياق الجديد ؛ وبذلك تصبح جزئيات المتعاطفات المجتمعة في النص غير مساوية في صورتها العامة لجزئياتها متفرقة خارج النص ذلك أن الأزهار – مجتمعة في باقاتها – ليست هي نفسها متناثرة خارجها)[١] .

ومن هذه الدراسات التي أفردت لدراسة هذا المبحث أيضاً دراسة مصطفى حميده في كتابه الموسوم بـ " نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية " ؛ والذي صاغ فيه تصوره حول الفرق بين الارتباط والربط في : (أن الارتباط هو نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين دون اللجوء إلى واسطة لفظية تعلق أحدهما بالآخر ، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه . أما الربط فهو اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة أو ضمير بارز عائد، ويكون الربط إما لأمن لبس الانفصال، أو لأمن لبس الارتباط ، وأما الانفصال فهو انعدام العلاقة الدلالية و النحوية بين معنيين ... ، وقد توصل الدكتور مصطفى حميدة إلى أن الارتباط أقوى من الربط ؛ لأن سبيل الارتباط العلاقة المعنوية ، وسبيل الربط اصطناع العلاقة المعنوية برابط لفظي)[٢] .

---

١. عفت الشرقاوي : بلاغة العطف في القرآن الكريم ، دراسة أسلوبية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م، ص ١٥٥-١٥٦ .

٢. مصطفى حميدة : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، الشركة المصرية للنشر – لونجمان ط١، ١٩٩٧م ،ص ٢٠٣-٢٠٤،ص١٦٦.

تبقى الإشارة إلى أن الجانب التطبيقي الآتي سيقتصر فيه الباحث على الربط بالأدوات (الربط اللفظي) ، أما الارتباط القائم على الروابط المعنوية فسيكون محل موضع آخر من الدراسة .

وبالنظر إلى قصة موسى والعبد الصالح ، وتلمس أدوات الربط فيها ، واستكشاف دورها في حدوث التماسك النصي ؛ يرصد الباحث ما يأتي :

أولاً : الربط بالأدوات في الوحدة النصية الأولى : (آيات الوحدة الأولى)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١)

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢)

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آَثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤)

آثرت كتابة آيات الوحدات النصية على هذه الشاكلة ؛ لكشف أدوات الربط بصورة أوضح ، سواء على مستوى توالي الآيات ، أم على مستوى الآية الواحدة .

الوحدة النصية الأولى هي التي دارت أحداثها بين العبد الصالح وفتاه ، تلك المرحلة التي مثلت البحث عن المجهول ؛ فالموضع الذي يبحث عنه موسى موضع مجهول ، لكن مقرون لديه بعلامة منتظرة ، وهي علامة فقد الحوت في موعد مجهول أيضاً بالنسبة لموسى ، وفي الوقت الذي يعد فيه الهدف الذي ينشده موسى من وراء رحلته معلوماً لدى موسى وهو تحصيل العلم على يد عبد من عباد الله ، إلا أنه – أعني هذا العبد الصالح – مجهول بالنسبة له أيضاً ؛ هذا المجهول الذي أحاط بموسى من كل جانب قد انعكس صداه على الروابط في هذه الوحدة النصية الأولى ، وذلك على النحو الآتي :

- بدأت القصة بـ (واو) تلاها (إذ) ، فالواو في هذا الموضع (استئنافية و الجملة بعدها مستأنفة للشروع في قصة التقاء موسى بالخضر وما تخلل ذلك من أعاجيب)[١] ، وقد حذف ما بعدها ومقدر بقوله: (واذكر إذ قال ...) ، فالرابط هنا " الواو" قد أدى وظيفة الربط على مستوى السورة كاملة ؛بل بين القصة و القصة التي تليها ، وليس كما زعم يونج أن الانتقالات بين القصص كانت انتقالات مفاجئة ، فبعد أن انتهى سبحانه من قصة أصحاب الكهف ، ثم قصة صاحب الجنتين ، وتوالت الآيات التي تصف بعض مشاهد القيامة ويوم الحساب ، وقدرة الله تعالى ورحمته بعباده ؛ جاءت الواو هنا لتؤدي وظيفة الربط الدلالي المتناسب مع طبيعة سورة الكهف ، التي غلب عليها الطابع القصصي .
- كانت نقطة انطلاق أحداث القصة كلها هي قول موسى لفتاه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا) . يقول الزمخشري في كشافه : (" حتى أبلغ مجمع البحرين " غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ، فلابد أن يكون المعنى : لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين . ووجه آخر وهو أن يكون المعنى : لا يبرح مسيري حتى أبلغ ، على أن " حتى أبلغ " هو الخبر... ، ويجوز أن يكون المعنى : لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير و الطلب، ولا أتركه ولا أفارقه ختى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان)[٢].

١. محيي الدين الدرويش : إعراب القرآن الكريم و بيانه ، دار الإرشاد ، حمص – سوريا ، ط٣، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م، مج٥/٦٢٨ .
٢. الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل و عيتن الأقاويل في وحوه التأويل ،دار الفكر ط١ ، ١٤٠٣هـ،١٩٨٣م، ج٢/ ٤٩٠.

- **جملة القول هنا قد ارتبطت أجزاؤها عبر الشرط المقرون بـ " حتى " التي تفيد انتهاء الغاية ، واستخدام " حتى " في هذا السياق تتناسق دلالياً مع غاية موسى و مبتغاه ، وهو بلوغ مجمع البحرين ، ذلك الموضع المجهول المعالم بالنسبة له .**

أما أداة الربط الثانية في هذه الآية وهي " أو " فقد عكست مع ما بعدها دلالة عميقة وهي مدى إصرار موسى على تحقيق غايته ؛ وهذا يدعم قول المفسرين حول " لا أبرح " التي ذهبوا إلى أنها بمعنى لا أزال أسير من برح الناقص ، فحذف الخبر اعتماداً على قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر واتكالاً على ما يعقبه من قوله " حتى أبلغ " .

ولا شك أن الخيارين اللذين ألزم موسى نفسه بهما أيضاً مجهولان ؛ فمجمع البحرين موضع مجهول بالنسبة له ، وقد وقع بعد " حتى " ، و المضي حقباً أيضاً زمان مجهول بالنسبة له و قد وقع بعد " أو " .

- **الآية الثانية في هذه الوحدة قد ارتبطت بسابقتها عبر (الفاء المقرونة بـ " لما ") ، في قوله تعإلى: فلما .. ؛ فالرابط المركب هنا يعكس دلالة استغراق الوقت لا السرعة ؛ ويدعم ذلك ويؤكده الآية الثالثة في الوحدة ذاتها ؛ إذ إنها نصت بالفعل على ما أصابهما من تعب وجوع ونصب ، حتى بلغا هذا الموضع الذي التمسا فيه الراحة ، دون أن يعلما أنه مرادهما و مبتغاهما .**

وقد جاء الترابط داخل هذه الآية أيضاً ترابط شرطي تلازمي في قوله تعإلى: (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) . وتفسير ذلك أن نسيان ما كان من أمر الحوت جاء متزامناً و ومتلازماً لوجودهما في هذا الموضع .

أما الترابط بين (نسيا حوتهما) و (فاتخذ سبيله في البحر) هو ترابط شرطي سببي : فاتخاذ الحوت سبيله في البحر أمر مقدر سلفاً من الله ، ولكنها الأسباب ؛ فكانت ملامسة الماء للحوت آية وسبباً في المعجزة ، حيث تدب فيه الحياة ، فيتخذ سبيله في البحر . ولا شك أن الفاء في هذا الموضع قد عكست دلالة السرعة ؛ حيث الارتباط الحتمي بين الأسباب والنتائج .

- **تكرر الرابط اللفظي (فلما) ليحقق التماسك والتلاحم بين الأحداث المتعاقبة ، حيث بدأت الآية**

الثالثة بقوله تعإلى : (فلما جاوزا) ، في الوقت الذي بدأت فيه الآية الثانية بقوله : (فلما بلغا مجمع بينهما) ، وهنا يتحقق الربط عبر آليتين معاً الربط بالأداة (فلما) التي أفادت التوالي والتعقيب مع مرور فترة من الزمن . وهي الدلالة نفسها التي حققتها الأداة في صدر الآية الثانية ، وهو نوع من الاتساق والتناغم .

أما الرابط الثاني فهو على مستوى أعمق من سابقه ؛ إذ إنه اعتمد على آلية الحذف – كما سيلي تفصيله – ، ولكن تجدر الإشارة إليه هنا ؛ لأنه جاء معتمداً على توالي الآيات من ناحية ، ومدعماً للارتباط بين الآتين من ناحية أخرى . وأعني بالحذف هنا اواقع بعد قوله تعإلى : (فلما جاوزا قال ...) ، فالتقدير هنا : فلما جاوزا " الموضع " أي مجمع البحرين ، وأجاز الحذف هنا الاعتماد على ما ذكر في صدر الآية السابقة .

- **كما تحقق الارتباط داخل هذه الآية الثالثة أيضاً عبر الارتباط الشرطي السببي داخل أجزاء الآية بين قوله تعإلى (آتنا غداءنا) ، وقوله تعإلى (لقد لقينا) .**

والترابط الشرطي في هذه الآية جاء مركباً ؛ حيث وقع الترابط الشرطي التلازمي أيضاً بين قوله تعإلى : (فلما جاوزا) ، وقوله تعإلى (قال ...) .

- جاء الرابط بين الآتين الثالثة والرابعة داخل هذه الوحدة معتمداً على صدارة فعل القول : (قال) الذي يمثل رد الفتى على موسى ، وهذه الآية مثلت نقطة التحول في الوحدة النصية الأولى ؛ حيث أبلغ الفتى موسى ما كان من أمر الحوت ، وهي الآية المنتظرة التي جهلها الفتى ، ونسي ذكرها لموسى في وقتها ؛ ومن ثم كان التماسه العذر من موسى ، وإسناده فعل النسيان إلى الشيطان .

أما الربط داخل هذه الآية الرابعة في هذه الوحدة فجاء على النحو الآتي :

الارتباط الشرطي التلازمي بين قوله تعإلى : (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) وقوله تعإلى : (فإني نسيت الحوت) ؛ إذ إن ما كان من أمر الحوت كان ملازماً لوجودهما جوار الصخرة . مع دلالة الزمن هنا في الجواب والشرط معاً على الماضي ؛ لأنهما قد تجاوزا بالفعل موضع الحدث . وقد قيل : (الفاء في " فإني " لتعليل الدهشة التي اعترتهما مما نابهما)[١]

أما الفاء في قوله : (فإني) فقد أدت وظيفة عطف المفصل على المجمل ؛ فالمجمل ما كان من أمر الإيواء إلى الصخرة ، وهو معلوم لدى موسى ، أما المفصل فهو ما ولي الفاء : من أمر الحوت ، واتخاذه سبيله في البحر سربا . ونسيان الفتى لذلك معلقاً نسيانه بالشيطان . كلها أمور تفصيلية تلت الفاء ، ولم يكن موسى يعلمها .

أما الارتباط بين قوله تعإلى (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) بما قبله (فإني نسيت الحوت) ؛ فهي ربط بين السبب و المسبب ، لأن الجملة الثانية جملة تعليلية ؛ حيث يبرر الفتى ما وقع منه من نسيان بأن مرده إلى الشيطان .

وقد أدت هذه الجملة (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) وظيفة الجملة الاعتراضية التي تؤدي دوراً دلالياً بارزاً من ناحية وهو بيان علة النسيان ، كما أدت إلى التماسك والتلاحم بين

١. محيي الدين الدرويش : إعراب القرآن و بيانه ، مرجع سابق ،مج ٦٢٩/٥ .

أجزاء الآية على امتدادها . فتقديم ذكر العلة في النسيان على ما كان من أمر الحوت – وهو أكبر– إنما كان للاعتناء بالاعتذار .

أما قوله تعالى : (واتخذ سبيله في البحر عجبا) ،فهي جملة مسبوقة بالواو ،هذه الواو التي أدت وظيفة الربط بينها وبين أكثر من جملة سبقتها ، ويؤكد ذلك قول عبد القاهر الجرجاني بقوله : (إن مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان)[١]

- **أما الآية الأخيرة في هذه الوحدة النصية فقد ارتبطت بما قبلها عبر آليتين هما :**

فعل القول ، الذي يمثل رد موسى على ما ذكره فتاه ، أما الآلية الثانية فتحققت عبر الإحالة باسم الإشارة (ذلك) ، ومرجعيتها الذي ذكرت من أمر الحوت – وهو ما سيلي ذكره في مبحث الإحالة – وجاءت الجملة الختامية لهذه الوحدة مصدره بالفاء التي تعكس دلالة سرعة رد الفعل لدى موسى، بالإضافة إلى الفعل الإنجازي (ارتدا) وما يحمله من دلالات السرعة أيضاً ، وهو ما يؤكد مدى حرص موسى على تحصيل العلم الذي لدى هذا العبد الصالح .

والملاحظ حول الربط بالأداة في هذه الوحدة النصية ما يأتي :

- **أن الربط بين المتتاليات الجملية جاء بصورة أكبر من الربط بين المفردات .**
- **أن الربط باستخدام الشرط التلازمي قد جاء بنسبة أكبرمن الربط باستخدام الشرط السببي وحروف العطف .**
- **أن أبنية الفعل في الارتباط الشرطي والتلازمي قد تنوعت دلالة الزمن فيها ما بين (الماضي و الاستقبال). فما دل منها على الاستقبال جاء متسقاً مع انتظار موسى للقاء الخضر الذي لم يتحقق بعد (أبرح ، أبلغ ، أمضي) وجلها تمركز في بداية الوحدة**

---

١. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، مرجع سابق ، ص ١٨٨.

النصية ، أما ما دل على الماضي فجاء متسقاً دلالياً مع ما حدث وخفي حدوثه على موسى أثناء وقوعه، أو حدث إنجازي تم حدوثه بالفعل وانتهى إبان مصاحبة الفتى (بلغا ، نسيا ، اتخذ ،جاوزا ، لقينا ،أرأيت ، أوينا ، نسيت ، أنسانيه ، ارتدا) .

-الاعتماد على الحدث التواصلي عبر فعل القول " قال " ليثبت أهمية البنية الحوارية في التماسك النصي .

ثانياً : الربط بالأدوات في الوحدة النصية الثانية : (آيات الوحدة الثانية) .

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥)

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦)

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧)

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨)

قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩)

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)

الوحدة النصية الثانية تبدأ منذ لقاء موسى بالعبد الصالح ، ومحاولة التماس مصاحبته ؛ على أن يعلمه من علمه الذي يفتقد إليه موسى ، و تجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة كانت بداية الانتقال من المجهول إلى المعلوم ؛ بمعنى أنها مرحلة إدراك الموضع الذي كان مجهولاً له ، وأصبح الآن معلوماً بعد أن أخبره الفتى ما كان من أمر الحوت ، وكان علمه بالموضع وكشف الستر عن إبهامه دليلاً و علامة على قرب لقاء الخضر ، الذي يمثل المجهول الثاني . وهو ما حدث بالفعل حيث لقاء العبد الصالح كان أول آية من آيات الوحدة الثانية .

- **كانت نقطة الانطلاق نحو هذه الوحدة النصية قوله تعالى : (فوجدا عبداً ...) الآية .**

ذكرنا سابقاً أن الارتباط هنا تجاوز حدود المفردات ؛ حيث تحقق ارتباط شرطي سببي على مستوى الوحدات النصية ، وقد جاء هذا الارتباط على النحو الآتي : (... فارتدا ... فوجدا ...) . فلقاء

العبد الصالح كان سببه ارتدادهما إلى الموضع الذي حدثت فيه حادثة الحوت ، ولا يخفى الدور الوظيفي للفاء كرابط لفظي عكس دلالات التعقيب والسرعة في رد الفعل .

آية الصدارة في هذه الوحدة النصية هي الآية التي تضمنت وصف العبد الصالح ؛ لذا كان وصفه للمتلقي الخارجي " القارئ " ، عبر جمل سردية تبتعد عن البعد الحواري الغالب على أحداث القصة ، أمراً ضرورياً ؛ إذ رآه المتلقي الداخلي " موسى عليه السلام " رأي العين ؛ ومن ثم كانت الآية الأولى في هذه الوحدة النصية حول أوصافه .

الواو مثلت رابطاً لفظياً بين جملتين داخل الآية هما (آتيناه رحمة من عندنا) و (علمناه من لدنا علماً) .عكست الواو دلالة الارتباط الوثيق بين النعمتين والخاصتين اللتين خص الله هذا العبد بهما ؛ الرحمة وعلم الغيوب – أو ما عبر عنه أبو السعود في تفسيره بـ (الوحي والنبوة ، والعلم علم خاص لا يكتنه كنهه ، ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب)[١] .

يقول أبو السعود : في قول الله تعإلى : (قال له موسى هل أتبعك) استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق ، كأنه قيل : فماذا جرى بينهما من الكلام ؟ فقيل : قال له موسى : (هل أتبعك على أن تعلمن) استئذاناً منه في اتباعه له على وجه التعلم .[٢]

ولعل ما ذكره أبو السعود حول الاستئاف المبني على السؤال المقدر يتفق جملة وتفصيلاً مع ما ذهب إليه الدكتور شكر محمود عبد الله ، حول أن ما يسمى الاستناف البياني ، من الأولى أن يسمى استئاف جوابي حيث يقول : (يرى بعض الباحثين أن شبه كمال الاتصال يسمى الاستئناف البياني ، و أزعم أنه ليس من الخطأ ، بل من الأولى أن يسمى " الاستئناف الجوابي " ، والعلة في ذلك أن معنى الاستناف ليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه كما يشعر بذلك لفظ الاستئناف ، وكما يعتقد أهل النحو والبلاغة ، و إنما هو استئناف جواب لسؤال يقدر أن يثيره التركيب المتقدم في نفس المتلقي ، واستئناف الجواب هذا يتم به الكلام المنبثق عن الجملة السابقة

١. أبو السعود : تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،مرجع سابق ، ج٤/٢١٦ .
٢. أبو السعود :مرجع سابق ج٤/٢١٦.

، التي يمكن أن تعد كأصل أو كأم لهذه الجملة ، ولذلك نرى الجملة المستأنفة لا تستقل معنوياً بنفسها ، وإن امتدت أو طالت ، أو تكررت فروعها)[١] .

والذي أذهب إليه أن ما ذكره الدكتور شكر ، ومن قبله أبو السعود يمكن تطبيقه على فكرة الوحدات النصية ؛ وتفسير ذلك أن الوحدة النصية كاملة قد تثير سؤالاً تتبني على إجابته الوحدة التالية لها ، في تسلسل وترابط وتماسك ، ويظل الرابط الدلالي قاسماً مشتركاً بين وحدات النص على امتداده .

فبالنظر إلى الوحدات النصية المكونة لقصتنا نجد أن كل وحدة تثير سؤالاً بعد قراءتها :

فالوحدة النصية الأولى تثير سؤالاً جوهرياً هو : ماذا جرى بينهما من الكلام ؟

والوحدة النصية الثانية تثير سؤالاً جوهرياً هو : ماذا حدث بعد موافقة العبد الصالح على إتباع موسى له ؟

كما أن الوحدة النصية الثالثة تثير سؤالاً جوهرياً هو : ما تفسير تلك العجائب التي لم يصبر عليها موسى ؟

و أرى أن كل سؤال سؤال جوهري يتضمن مجموعة من الأسئلة الفرعية المنبثقة عن أحداث الوحدة النصية السابقة عليها ؟

فمثلاً تثير الوحدة النصية الأولى مجموعة من الأسئلة الفرعية مثل : ماذا قال موسى للخضر ؟ وهل أبلغه بمراده مباشرة ؟ وبم رد عليه الخضر ؟ وهل وافقه على طلبه ؟ و هل وافق بلا بشروط أم أنه اشترط عليه شروطاً ؟ وما الشروط ؟ وبم رد عليه موسى ؟

كما تثير الوحدة الثانية مجموعة من الأسئلة الفرعية مثل : ما طبيعة تلك الأمور التي ذكر الخضر أن موسى لن يستطيع عليها صبرا؟ وهل هي بالفعل أشياء لا يطيقها الإنسان ؟ وماذا كان

---

١. شكر محمود عبد الله :الفصل والوصل في القرآن الكريم ، دار دجلة – عمان – الأردن ، ط١ ، ١٤٣٠هـ .، ٢٠٠٩م ، ص ١٦١ .

رد فعل موسى تجاه هذه الأمور ؟ و هل سيستطيع موسى أن ينفذ وعده للخضر؟ وكيف سينتهي الأمر بينهما ؟

أما الوحدة النصية الثالثة ، والتي بلغت فيها الأحداث ذروتها فمن المنطقي أن تثير عدداً أكبر من الأسئلة التي ستجيب عنها الوحدة النصية الختامية للقصة . ومن هذه الأسئلة التي تثيرها الوحدة الثالثة : لماذا خرق الخضر السفينة وهو العبد الصالح الذي يفترض ألا تصدر منه تلك الأفعال السلبية ؟

لماذا قتل الخضر الغلام ؟ وهل للقتل مبرر ؟ ولماذا لم يرد الخضر أن يتقاضى أجر على الفعل الإيجابي " إقامة الجدار " ؟ وما السر الذي يكمن وراء كل هذه الأفعال ؟

وهنا أود الإشارة إلى أمرين أن السر يكمن في آيتين إحداهما في أول ظهور للخضر ، والثانية في آخر ظهور له : أما الآية الأولى ففي قوله تعالى : (عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علما)

والآية الثانية : قوله تعالى : (وما فعلته عن أمري) . هكذا تتلاحم بداية القصة مع نهايتها وتتماسك وتتناسق أجزاؤها مهما تباعدت المساحات بينها .

ولا شك أن هذه الأسئلة المطروحة هي أسئلة يثيرها في نفس المتلقي الخارجي السياق ذاته . ويوازيها أسئلة أخرى يثيرها سياق الموقف في نفس المتلقي الداخلي " موسى " ، وهي المذكورة في الآيات على لسانه بالفعل .

الارتباط الغالب على آيات هذه الوحدة فيما بينها جاء قائماً على البعد الحواري بأفعاله الكلامية . وهذا ما نجده بين الآيات بالفعل منذ أول قول لموسى : (هل أتبعك ...) .

القول الأول للخضر : (إنك لن تستطيع معي صبراً) ، قول جاء مؤكداً من الخضر ، ثم تلاه بقوله : (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) ، والواضح أن قول الخضر الأول حتماً قد استدعى تعجباً من موسى ؛ ولكنه حذف ، وتقدير القول من موسى : لماذا تجزم بأنني لن أستطيع معك صبرا؟ فجاء جواب الخضر يعكس هذا السؤال المقدر .

كذلك ربطت الواو بين وعدي موسى للخضر في قوله : (ستجدني إن شاء الله صابراً) و(لا أعصي لك أمراً) . فالأمران ضروريان بين طرفي الحوار ، خاصة أن أحدهما سيكون معلماً والآخر متعلماً ، والتزام المتعلم بالأمرين معاً – أعني الصبر و الطاعة – من مقومات عملية التعلم ، وهما السبيل إلى نجاح المتعلم في الوصول إلى مبتغاه .

الآية الأخيرة في هذه الوحدة النصية قد مثلت فيها الروابط الأداتية ملمحاً بارزاً أسهم في التماسك بين أجزائها ؛ حيث وقع الارتباط الشرطي بين قوله : (فإن اتبعتني فلا تسألني) وهو ارتباط تلازمي ، ارتبطت فيه دلالة الأفعال على الاستقبال ، وهذا أمر يتسق مع الأحداث ؛ إذ إن الاتباع لم يقع بعد ؛ وهو يتسق مع طبيعة المعلم من ناحية أخرى ؛ فهو يرسي قواعد التعلم ، وما يتطلبه من متعلمه .

يقول أبو السعود : حول قوله تعالى : (فإن اتبعتني) أذن له في الاتباع ... والفاء لتفريغ الشرطية على ما مر من التزام موسى عليه الصلاة والسلام للصبر والطاعة .

ويمتد الارتباط بين أجزاء الآية على نحو أعمق بين (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) . والارتباط هنا ارتباط تقابلي ؛ إذ إن السؤال دائماً يكون عن المجهول ، والإجابة دائماً تحمل الحكمة والمعلوم ، فالتقابل واقع هنا بين ما يحمله السؤال من الإبهام والغموض ، وما تحمله الإجابة من دلالات الوضوح والبيان .

فالربط بـ " حتى " أدى وظيفة دلالية وهي أن ما بعدها يؤكد أن كل ما سيصدر عنه له غاية لن يدركها موسى ؛ ومن ثم عليه عدم السؤال عن الغاية ، وهذا السياق القرآني يؤكد وظيفة حتى في إفادتها انتهاء الغاية ... .

ثالثاً : الربط بالأدوات في الوحدة النصية الثالثة : (آيات الوحدة الثالثة) .

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١)
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢)
قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)
قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦)
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)
قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)

بدأت هذه الوحدة النصية بأداة رابطة وهي (الفاء) المقرونة بفعل إنجازي (انطلقا) ، ومن المعلوم أن (الفاء استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في الأمور الثلاثة التي ألمعنا إليها ، والتي خفيت بواطنها عن موسى ، وبدت له ظواهرها مستنكرة)[١] .

تمثل هذه الوحدة النصية عودة جديدة إلى المجهول بالنسبة لموسى ؛ فالمجهول هذه المرة هي الحكمة الغائبة ، أعني بها الحكمة الآلهية الكامنة خلف أفعال الخضر ، والتي خص الله بها عبده الصالح دون موسى ؛ ومن ثم كان الارتباط جلياً بين عناصر هذه الوحدة ومتناسقاً مع تلك الغاية التي يسعى إليها موسى .

فالارتباط داخل الآية الأولى في هذه الوحدة "٧١" كان ارتباطاً شرطياً تلازمياً بين (إذا ركبا في السفينة) و(خرقها) ، وهو وقد ارتبطت دلالة فعلي الشرط معه على الماضي .

أما الروابط الجملية بين عناصر هذه الوحدة فقد مثلت عناصر إحالية إلى أجزاء و أحداث أخرى سبق ذكرها ؛ لتحدث بذلك تماسكاً بين أجزاء القصة رغم بعد المساحة بينها ، وإن كانت

١. محيي الدين الدرويش :إعراب القرآن و بيانه ، مرجع سابق ، مج٦/ص٦ .

جلها إحالات قبلية ذات المدى القريب كما سيلي ذكر ذلك في مبحث الإحالة في قوله تعإلى :(ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) ، وإنما وجب الإشارة هنا لأن الإحالة هنا تدعم فكرة الربط بالأدوات .

فالارتباط داخل الآية الرابعة في هذه الوحدة "٧٤" كان ارتباطاً شرطياً تلازمياً بين (حتى إذا لقيا غلاماً) و(فقتله) ، وقد ارتبطت دلالة فعلي الشرط معه على الماضي .

نلحظ هذا التناسق التركيبي بين آيات هذه الوحدة النصية والذي يمكن رصده على النحو الآتي :

بين قوله تعإلى :

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١)

وقوله تعإلى :

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)

كذلك نلاحظ هذا التناسق التركيبي بين قوله تعإلى :

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢)

وقوله تعإلى :

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)

كما نلاحظ تناسقاً دلالياً من بعد آخر ، وهو الواقع بين الهمزتين : همزة (أخرقتها) ، وهمزة (ألم) ؛ فالأولى على لسان موسى ، وقد أفادت الاستفهام الاستنكاري . أما الثانية فكانت على لسان الخضر ، وقد أفادت الاستفهام التقريري . وهذا يتسق دلالياً مع حدود علم كل من المتحاورين .

ومن هذا النوع من التناسق الدلالي أيضاً ما وقع بين (خرقها) دون " الفاء " ، وبين (فقتله) مقترنة بالفاء ؛ حيث تكمن دلالة هذه المخالفة كما يقول الزمخشري : (فإن قلت : لم قيل حتى إذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء ، وحتى إذا لقيا غلاماً فقتله بالفاء ؟ قلت : جعل خرقها جزاء للشرط ، وجعل قتله من جملة الشرط لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام

معطوفاً عليه والجزاء قال : أقتلت . فإن قلت : فلم خولف بينهما ؟ قلت لأن خرق السفينة ، في أن خرق السفينة لم يأت عقب الركوب مباشرة)[١].

كما نلاحظ هذا التناسق الدلالي أيضاً بين قوله تعإلى : (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) و قوله تعإلى : (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً) ؛ فقد زاد في الثانية لفظ لك ؛ لأن سبب العتاب أكثر وموجبه أقوى ، فالزيادة دلالياً تعكس دلالة المبالغة في توجيه العتاب . وقيل : (زاد لفظ " لك " لقصد التأكيد ؛ كما تقول لمن توبخه : لك أقول ، و إياك أعني .[٢]

يمتد الارتباط الشرطي ليمثل الملمح الأبرز داخل هذه الوحدة النصية ، وهو ما وقع بين قوله : (إن سألتك عن شيء بعدها) و قوله : (فلا تصاحبني) وهو هنا ارتباط سببي ؛ إذ إن الفراق التي ستتحقق حالة تكرار السؤال مرة ثالثة . أو بصيغة أخرى تكرار السؤال سيتسبب في عدم الصحبة ووقوع الفراق . وقد ارتبطت الدلالة الزمنية هنا على الاستقبال .

الحدث الأخير في أحداث القصة جاء الترابط داخل الآية المعبرة عنه على نحو تركيبي على درجة عالية من التداخل بين أجزائها ، وهو حدث إقامة الجدار ؛ ويرجع السبب في ذلك إلى تعدد الأحداث المصاحبة للحدث الرئيس ، وتتمثل في : (إتيان أهل القرية ، استطعام أهلها ، رفض أهل القرية الضيافة ، وجود الجدار المائل ، إصلاح شأن الجدار ، طلب موسى إلى الخضر أن يتقاضى أجر ما قدم من إصلاح)

ويمكن كشف الترابط بين هذه الأجزاء على النحو الآتي :

- **(فانطلقا حتى إذا أتيا قرية)** **(استطعما أهلها)** .
- **(استطعما أهلها)** **(فأبوا أن يضيفوهما)** .
- **(فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض)** **(فأقامه)** .

---

١. الزمخشري : الكشاف مرجع سابق ، ج٤/٤٩٣ .

٢. محيي الدين الدرويش ، مرجع سابق مج٦/ ص ٦١٩.

نلاحظ هنا أن الترابط الشرطي في الأولى تلازمي ؛ فالتماس الطعام جاء ملازماً لنزولهما القرية . أما في الثانية فكان الترابط الشرطي تقابلياً ؛ فالتقابل هنا واقع بين طلب الطعام ، ورفض الطلب . كما وقع في الثالثة الترابط الشرطي تقابلياً ؛ فالتقابل هنا واقع بين ميل الجدار وقرب انهياره، وإقامته .

كل هذه الأحداث كانت بمثابة المسببات التي دفعت موسى لقوله (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) . فالارتباط هنا ارتباط دلالي على مستوى أعمق من مستوى الربط اللفظي ؛ لأنه واقع بين المسببات والنواتج ؛ لأنه يرى ما حل بهما من حاجة ، في الوقت الذي قام فيه الخضر من عمل يستوجب – من وجهة نظر موسى – أن يتقاضى عليه أجراً . خاصة أن المستفيدين من هذا العمل الإيجابي في النهاية – بالنسبة لموسى – أهل القرية الذين أبوا أن يضيفوهما هو الخضر .

أما ختام هذه الوحدة النصية فكان ختاماً حاسماً لمرحلة ، و في الوقت ذاته ممهداً لمرحلة جديدة : فالختام الحاسم وقع بقول الخضر : (هذا فرق بيني وبينك) ، والربط هنا – كما سنرى – تحقق عبر الإحالة القبلية ذات المدى القريب ؛ حيث يعود اسم الإشارة إما إلى (هذا القول الأخير الذي طرحت) أو (هذا الذي بدر عنك طوال الرحلة يستوجب الآن الفراق بيني وبينك) أو (الإشارة إلى الفراق المترتب على تكرار السؤال).

أما التمهيد لوحدة نصية جديدة ، فقد تحقق عبر الإحالة البعدية ذات المستوى القريب (سأنبك) وهي إحالة إلى التفسير التالي لما لم يستطع عليه موسى صبراً طوال الرحلة ؛ وبذا ارتبطت نهاية هذه الوحدة ببداية الوحدة التالية التي ستعتمد على الإحالات القبلية للإشارة إلى المعهودات التي لم يصبر عليها الخضر .

رابعاً : الربط بالأدوات في الوحدة النصية الرابعة : (آيات الوحدة الرابعة) .

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩)
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠)
فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١)
وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)

بداية أشير إلى وجه الارتباط بين الوحدتين الثالثة و الرابعة قد نسجت خيوطه مع آخر جمل الوحدة النصية الثالثة ، وتحديداً في قوله تعالى : (سأنبك) ؛ حيث أدت " السين " دوراً دلالياً يعكس سرعة التنبئة ، وأنها – أي التنبئة – تالية مباشرة دون تراخ ؛ ويدعم ذلك قول أبي السعود : (السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة)[١] . ويرى الباحث أن (السين) كانت حرفاً ممهداً للانتقال من المجهول والمستنكر إلى المعلوم و المقبول ؛ مستنكر لأن حدوده هي علم الإنسان المحدود ، ومقبول لأنه محكوم وقتها بحكمة الله وعلمه الذي لا حدود له ، وجاءت (السين) دوناً عن (سوف) ؛ ليتناسب دلالياً مع سرعة التبليغ التي يحتاجها موسى و تتناسب مع شغفه ، وعدم مقدرته على الصبر ،من هنا كانت المناسبة في استخدام الأداة الرابطة .

جاء (أما) أداة رابطة بين الوحدتين الثالثة و الرابعة ، يدعمها الإحالة بالاسم المعرف بـ " ال " بعدها ، ليحدث التلاحم والتماسك بين نسيج الوحدتين بصورة جلية . ومعلوم أن (لـ " أما " أحكام : فمنها أن الفاء بعدها لازمة لا تحذف ، إلا مع قول أغنى عن المحكي به ، كقوله تعالى "

١. أبو السعود : تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠.

فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم " آل عمران /١٠٦ ، أي فيقال لهم أكفرتم . أو في ضرورة شعرية)[١] .

وقد مهدت (أما) لوقوع الارتباط الشرطي إذ إنها (حرف شرط يفيد التفصيل . ويشترط في استعمالها أمران : أن تستعمل مكررة ، و أن يربط جوابها الفاء)[٢] . ومن النحاة من فسر تضمنها معنى الشرط بقوله : (أما حرف بسيط ، فيه معنى الشرط ، مؤول بـ " مهما يكن من شيء " ، لأنه قائم مقام أداة الشرط وفعل الشرط ، و لذلك يجاب بالفاء ...، فإذا قلت : أما زيد فمنطلق ، فالأصل : " إن أردت معرفة حال زيد فزيد منطلق " ؛ حذفت أداة الشرط وفعل الشرط ، و أنيبت أما " مناب ذلك)[٣]

الأداة الأخرى التي مثلت ملمحاً دلالياً بارزاً داخل هذه الوحدة هي (الفاء) ، أعني بها الفاء الجوابية الداخلة على جواب شرط (أما) ، فهذه الفاء (معناها الربط ، و تلازمها السببية . قال بعضهم : والترتيب أيضاً ، وتكون جواباً لأمرين : أحدهما الشرط بـ " إن " و أخواتها ، والثاني ما فيه معنى الشرط نحو " أما ")[٤] . وبالنظر في آيات هذه الوحدة ، نلاحظ أن الفاء قد أدت هذه الدلالات الثلاثة " الربط ، مع ملازمتها السببية . أما جانب الترتيب ففيه نظر ؛ وبيان ذلك على النحو الآتي :

أولاً : في بيان حكمة خرق السفينة :

جاء الارتباط على الشكل الآتي :

الارتباط في بيان حكمة خرق السفينة :

أما السفينة ... فـ (كانت ...) فـ (أردت) ... وكان وراءهم ... .

١. الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق د.فخر الدين قباوة،أ.محمد نديم فاضل ،دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١ ، ١٤١٣هـ ،١٩٩٢م ، ص ٥٢٣، ٥٢٤ .
٢. سليمان معوض : حروف المعاني : المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ٢٠٠٨م ، ص ١٣٨ .
٣. الحسن بن قاسم المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني ، مرجع سابق ، ص ٥٢٣ .
٤. السابق نفسه الجنى الداني ،ص ٦٦ .

فالفاء هنا مثلت حلقة رابطة بين السببين الموجبين للفعل المستنكر من موسى ، والفعل المستنكر نفسه . فكونها لمساكين من ناحية ، ووراءهم ملك ظالم من ناحية أخرى ؛ كانا سببين في خرقها حتى يزول عنها سبب الأخذ غصباً . فالسببان أحدهما تقدم على الفعل المستنكر والثاني تأخر عنه . وقد توسطت الفاء مقترنة بفعل الخضر بينهما ، هذا من ناحيتي الربط والسببية ، أما الترتيب فكان السياق يقتضي تأخير فعل الخضر عن الأسباب : ويكون تأويل القول على الترتيب الآتي : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وكان وراءهم ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة غصباً فأردت أن أعيبها حتى لا تؤخذ منهم) .لكن عندما تقدم فعل الخضر المقرون بالفاء عكس دلالة عدم وقوع الأخذ غصباً لما وقع في السفينة من عيب يستدعي عدم أخذها .

الارتباط في بيان حكمة قتل الغلام :

جاء على النحو الآتي :

أما الغلام ... فـ (كان) ... فـ (خشينا) ... فـ (أردنا أن يبدلهما) .

هنا تحققت وظائف الفاء الثلاثة وهي : الارتباط الواضح بين الأفعال المتوالية عبر وجود الفاء بينها ، والسببية ؛ حيث كانت الخشية على الوالدين المؤمنين من أن يرهقهما الغلام ظغياناً و كفراً سبباً في إرادة الله تعإلى أن يبدلهما غلاماً خيراً منه .وهو نفسه ركن الترتيب بين أفعال قصة الغلام فالثابت مسبقاً إعلام المتلقي بحقيقة الغلام ووالديه ووصفتهما ، ثم وقوع الخشية التي تلاها فعل الإرادة ثم التبديل على الترتيب .

الارتباط في بيان حكمة إقامة الجدار :

جاء على النحو الآتي :

أما الجدار... فـ (كان)... و(كان)... و(كان) ... فـ (أراد) ... أن (يبلغا) و(يستخرجا) .

فالفاء الجوابية هنا حققت دلالة الارتباط بين الأسباب والنتائج حيث جاء الترتيب ببيان ما للجدار حيث إنه كان لغلامين يتيمين هذا من ناحية ، وكان تحته كنز من ناحية أخرى ، ثم بيان ما

للغلامين اليتيمين من شأن حيث كان أبوهما صالحاً . وكونهما يتيمين صغيرين ، وكون أبوهما صالحاً ؛ كانا سبباً في إرادة الله أن يهيئ لهما من الأسباب ما يحفظ كنزهما ، حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما .

فتقديم ذكر الجدار قد استدعى الإخبار عنه، ثم تلاه ذكر الغلامين الذي استدعى الإخبار عنهما ، كل هذه أسباب كاشفة عن الحكمة من إقامة الجدار بلا أجر .

وقد ساد الارتباط الشرطي داخل هذه الوحدة على النحو الآتي :

- **(أما السفينة)** ... **(فكانت)** ... **(فأردت أن ...)** .
- **(أما الغلام)** ... **(فكان)** ... **(فأردنا أن ...)** .
- **(أما الجدار)** ... **(فكان)** ... **(فأراد ربك أن ...)** .

هذا التناسق على المستوى التركيبي إنما تتناسق أجزاؤه داخل بنية هذه الوحدة النصية ، مع ارتباط الدلالة الزمنية فيها جميعها على الزمن الماضي في شقه الأول (فكانت لمساكين ، فكان أبواه ، فكان ليتيمين) ؛ مع ملاحظة أن الدلالة على الماضي هنا دلالة اعتبارية ؛ بمعنى أن دلالة الماضي هنا دلالة غير منتهية ، و إنما دلالة الماضي هنا ممتدة ومستمرة، أي " فكانت لمساكين " فهم مساكين وسيظلون مساكين ، " فكان أبواه مؤمنين " فهما مؤمنين ولن ينتهي إيمانهما، " فكان لغلامين يتيمين " وسيظل لهما .وهذا يفسر دلالة الاستقبال في الشق الثاني للشرط.

أما الشق الثاني من التركيب الشرطي فقد ارتبطت دلالة الزمن فيه على الاستقبال ؛ الذي يعكس دلالة التحول والتبديل من حال إلى حال ومن شأن إلى شأن ؛ حيث تحول حال السفينة من صالحة إلى معيبة ؛ حتى يتركها الملك الظالم الذي يأخذ كل سفينة صالحة ، لو بقيت على حالها .

كذا (الغلام) فقد عبرت الآيات – بعد ذكره – عن والديه وليس عنه ؛ بمعنى أن الله سبحانه قال : (أما الغلام فكان أبواه مؤمنين) ولم يقل : (أما الغلام فكان كافراً) ؛ لأن الله قد أراد تبديل حال الأبوين من حال إلى حال ، فالحدث هنا والتبديل تعلق بالوالدين لا بالولد ؛ ومن ثم ارتبط التبديل بهما لا بالولد .

أما (الجدار) فقد عبرت عنه الآيات أنه كان لغلامين يتيمين ، في الوقت الذي كان فيه أبوهما رجلاً صالحاً ، ولكنه انقطع عنهما بموته ؛ ومن ثم كان تبديل الحال للغلامين لا للأب الصالح . وهنا نلاحظ التقابل الدلالي بين المشهدين الثاني والثالث ، والمرتبطين معاً برباط دلالي واحد وهو" صلاح الآباء وعلاقته بالأبناء " ؛ أما المشهد الأول فقد أراد الله بالوالدين خيراً حينما أراد أن يبدلهما ابناً خيراً من ابنهما ، زكاة و أقرب رحماً لأنهما ما زلا على قيد الحياة .

أما المشهد الثاني فكانت فيه إرادة الله أن ينفع الأبناء بصلاح آبائهم ، حتى وإن كانوا موتى ، وكأن الولد العاق ليس من حقه الإفادة من صلاح والديه ، رغم وجودهما ؛ لأنه كفر بنعمتهما . أما يتم الغلامين مع صلاحهما كان سبباً من الله أن يهيئ لهما من يحفظ لهما حقهما مستقبلاً .

– مثلت الواو رابطاً لفظياً ذا دلالة خاصة وهي عطف المسبب على السبب وذلك بين قوله تعالى : (فأردت أن أعيبها) و قوله : (كان وراءهم ملك) حيث إن (ظاهر الكلام يقتضي تأخير قوله :" فأردت أن أعيبها " عن قوله : " وكان وراءهم ملك " ؛ لأن إرادة العيب مسببة عن خوف الغصب عليها ، فكان حقه أن يتأخر عن السبب . والجواب على ذلك أنه سبحانه قدم المسبب على السبب للعناية به ، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ، ولكن مع كونها للمساكين)١ .

١. محيي الدين الدرويش : إعراب القرآن وبيانه ، مرجع سابق ، مج ٥٢٨/٥.

وقد ذكر الزمخشري قول أحمد : (وكأنه جعل السبب في إعابتها كونها للمساكين ؛ ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك في غصب السفن ، وهذا هو حد الترتيب في التعليل ، أن يترتب الحكم على السبب ، ثم يوضح المناسبة فيما بعد فلا يحتاج إلى جعله مقدماً و النية تأخيره والله أعلم)[١]

- **نلاحظ في الآيات تناسقاً دلالياً على مستوى الأفعال بين الوحدات الثلاثة على النحو الآتي :**

ففي الأولى : قال تعإلى : (فأردت أن أعيبها) . فقد أسند الفعل الإنجازي هنا إلى نفسه بوجود تاء الفاعل .

وفي الثانية : قال تعإلى : (فأردنا أن يبدلهما ربهما) . فقد أسند الفعل الإنجازي إلى " نا " الفاعلين.

أما الثالثة : قال تعإلى : (فأراد ربك أن يبلغا ...ويستخرجا) . فقد أسند الفعل الإنجازي هنا إلى الاسم الظاهر " ربك " مباشرة .

ويمكن بيان هذا التناسق الدلالي على النحو الآتي :

يقول الزمخشري (ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الأسلوب عجباً ؛ ألا تراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله – فأردت أن أعيبها – و أسنده في الثانية إلى ضمير الجماعة ، والمعظم نفسه في قوله – فأردنا أن يبدلهما ربهما – و خشينا أن يرهقهما ، ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعإلى لأن المراد ثم عيب ؛ فتأدب بأن نسب الإعابة إلى نفسه .

وأما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك : أمرنا بكذا ، أو دبرنا كذا ، وإنما يعنون أمر الملك ودبر . ويدل على ذلك قوله في الثالثة – فأراد ربك أن

٢. الزمخشري : الكشاف ، مرجع سابق ج٤/٤٩٥ .

يبلغا أشدهما – فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع و ينبو عنها ، ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة ، فسبحان الله الخير)[1] .

ويرى الباحث – ما رآه المفسرون من قبل – أنه أسند الفعل الأول– المتعلق بفعل سلبي وهو إحداث عيب بالسفينة – إلى نفسه ؛ تأدباً مع الله تعإلى . أما إسناد الفعل الثاني إلى " نا الفاعلين " فيرى الباحث أنه قد يكون لسببين : أولهما : أن الفعل جاء متعلقاً بما بعده وليس مستقل الدلالة ، بمعنى أن الفاعل الأوحد القادر على الفعل (الفاعل النحوي و الدلالي) وهو (التبديل)إنما هو الله سبحانه وتعإلى فقط ، دون دخل للعبد الصالح في هذا الفعل ، أما ما سبق ذلك وهو قتل الغلام فلا بد له من فاعل فعلي" منفذ " (فاعل نحوي) ، يقوم بالقتل ، وهو الخضر ؛ ومن ثم كانت المشاركة في الإرادة مرتبطة بالعبد الصالح بما أوحاه الله إليه ، أما التعلق الأخير ، فكان التفرد فيه للفعل مقصوراً على الله تعإلى وحده " أن يبدلهما ربهما " ؛ لأنه وحده من يهب الولد . ويدعم تلك الرؤية أن الفعل الاستقبالي هنا " تبديل الولد الطالح بالولد الصالح " إنما يتحقق بعد فترة لا يعلمها إلا الله وحده بعلمه للغيب لذا فهو الفاعل وهو المقدر لذا تفرد الفعل .

أما إسناد الفعل الثالث إلى الاسم الظاهر " ربك " يكمن كما قال أبو السعود في تفسيره : (ربك أي مالكك ومدبر أمورك ، ففي إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه الصلاة والسلام دون ضميرهما تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد و الاستسلام لإرادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الأمور المذكورة)[2] . كما أن دلالة الفعل الواقع في المستقبل وهي بلوغ اليتيمين أشدهما و استخراج كنزهما ، أمر لا يحتاج إلى مشاركة في الفاعل ، مثلما كان الأمر في قتل الغلام ، الذي كان في قتله رحمة من الله

١. الزمخشري : الكشاف ، مرجع سابق ج٤/٤٩٥، ٥٩٦ .

١. أبو السعود : تفسير أبي السعود ،مرجع سابق ، ج٤/٢٢٢.